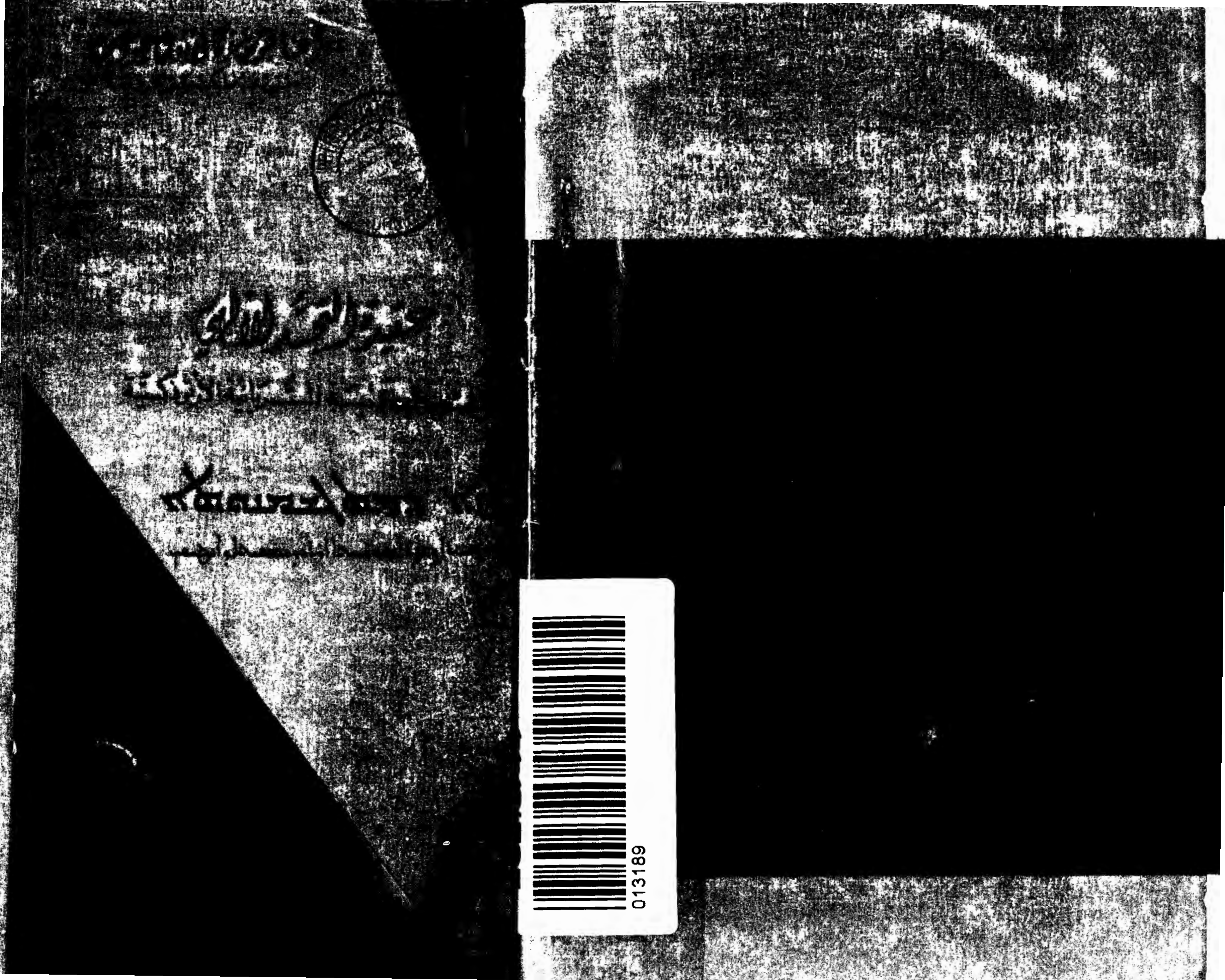

013189

إلى قداسة سيدنا العلامة
مار إغناطيوس زكا الأول عيواص
مع طلب بركته ودعائه [illegible]

ܐܪܙܐ ܕܡܬܒܣܪܢܘܬܐ

ܐܝܟ ܡܫܠܡܢܘܬܐ ܕܥܕܬܐ ܣܘܪܝܝܬܐ ܬܪܝܨܬ ܫܘܒܚܐ

عقيدة التجسّد الإلهي

في الكنيسة السُّريانيّة الأرثوذكسيّة



اغناطيوس زكا الأول عيواص
بطريرك انطاكية وسائر المشرق



سلسلة يصدرها

المطران يوحنا ابراهيم

متروبوليت حلب للسريان

مطرانية السريان الارثوذكس ـ حلب (سورية) هاتف ٤٤٤٦٦

المقدمة

الطبعة الثانية

هذا بحث لاهوتي تاريخي نقدمه ضمن سلسلة **دراسات سريانية**، يدور موضوعه حول « عقيدة التجسد الالهي » بحسب معتقد كنيسة انطاكية السريانية الارثوذكسية .

ورغم ان العلاقات الاخوية بين الطوائف المسيحية كافة لم تكن قد تطورت بالشكل الذي هو عليه اليوم ، لكننا نلاحظ ان المحاضر ينهج منهجاً حديثاً في معالجته للبحث الهام والشائك في آن واحد ، ويقدم على تجربته الاولى في عالم المسكونيات ايماناً منه بان لكنيسة انطاكية السريانية مسؤولية للاسهام في الحركة المسكونية ، التي تلعب اليوم دوراً هاماً في توثيق روابط الاخوة والمحبة بين مختلف الطوائف المسيحية في العالم اجمع .

ولم نتوخ ، ونحن نعيد طبع المحاضر ثانية ، اثارة المشاعر ، او العودة الى باب المجالات غير المجدية ، وانما غايتنا هي :

اولاً : ان يعرف القارىء ايمان كنيسة انطاكية السريانية بالاله التام والانسان التام يسوع المسيح .

ثانياً : ان مؤمني هـذه الكنيسة العريقة لم يبدلوا شيئاً في عقيدة التجسد الالهي الـتي تسلموها من الآباء ودافعوا عنها دفاعاً مستميتاً .

بقي ان نقول : ان المحاضرة نشرت اولاً في حمص سنة ١٩٥٩ تحت عنوان « حسن الشهادة والاداء في سري التجسد والفداء » . وعندما ابدينا رغبتنا في اعادة طبعها اذن لنـا قداسة البطريرك مار اغناطيوس زكا الاول عيواص . كما سمح بتغيير عنوانها .

والله نسأل ان يمدنا بعونه وتوفيقه لاتمام رسالتنا على اكمل وجه .

خميس الصعود

حلب في ٤ حزيران ١٩٨١

المطران يوحنا ابراهيم

مقدمة

الطبعة الاولى

في ٢٤ كانون الثـاني ١٩٥٩ وجّـه اليّ سيـادة الصديق البروبست يواخيم فيكات رئيس الكنيسـة اللوثرية في القدس ، دعوة الاكاديمية اللاهوتية الألمـانية لحضـور مؤتمر القدس ، الذي نوت عقده في ١٥ و ١٦ نيسـان ، لبحث موضوع « طبيعة السيد المسيح ومجمع خلقيدونية » ، والقاء محـاضرة في موقف كنيستنا السريانية الارثوذكسيـة ازاء هذه العقيدة . وبعـد ان استأذنت سيـدي صـاحب القداسة مار اغناطيوس يعقـــوب الثالث بطريرك انطاكية وسائر المشرق الكلـي الطوبى ، لبّيت الدعـوة وحضرت المؤتمر المذكور وألقيت المحاضرة المطلوبة بعنوان « طبيعـة واحدة لله الكلمة المتجسد » . وقد كتبتها باسلوب بسيط ، متحاشياً جهد امكاني الاصطلاحات اللاهوتيـــة والفلسفية

العويصة ، معالجاً الموضوع من الوجهة التاريخية ، مثبتاً عقيدة كنيستنا المقدسة ببراهين دامغة وواضحة ، نقلية وعقلية . وبشهادات الخصم نفسه . وألقيتها في جلسة المؤتمر الاولى . وتُرجمت حالاً الى اللغتين الانكليزية والالمانية .

ومما هو جدير بالذكر ان الدكتور فريدريك هاير *Dr. Friedreich Hayer* استاذ اللاهوت في الاكاديمية الألمانية المذكورة والذي كان يرئس جلسات المؤتمر ، علّق على المحاضرة بقوله : « لقد اقتنعنا بما أثبته المحاضر بان مجمع خلقيدونية لم يجتمع بروح الله » . وأردف قوله : « لقد غدا واضحاً لدينا جميعاً ، ان الكنائس الارثوذكسية الشرقية القديمة التي تعتقد بطبيعة واحدة للسيد المسيح بعد الاتحاد بدون امتزاج ولا اختلاط ولا تبلبل ، وترفض مجمع خلقيدونية وعقيدته ، ليست اوطاخية المذهب كما كنا نظن ، فهذه الكنائس ، كقول المحاضر تحرم اوطاخي وهرطقته كما تحرم نسطور وبدعته ايضاً . انها اذن لأمانة في عنق كل منا ، عند عودته الى بلاده ، ان يصلح التاريخ الخاطىء المجحف في حق هذه الكنائس » .

ولا بدّ لي ان اذكر انه قد مثلت في هذا المؤتمر

الودّي ، الكنائس الارثوذكسية : السريانية والقبطية والارمنية والحبشية . والكنائس البروتستانتية : الاسقفية والانجيلية واللوثرية التي كان ممثلوها من الاردن والمانيا وكندا وبلجيكا وغيرها .

هذا واني نزولاً عند رغبة بعض الافاضل الغيارى ، أقدمت على نشر محاضرتي هذه آملاً ان تفيد القارىء الكريم وتكون له وسيلة حسنة لتفهم الحقيقة المجرّدة ، والعقيدة المسيحية القديمة السمحاء ، وحسبي الله ونعم الوكيل .

حمص في ٣٠ حزيران ١٩٥٩

الربان زكّا بشير عيواص

طبيعة واحدة

لله الكلمة المتجسد

كلمة مجملة عن سري التجسد والفداء

عندما هوى الانسان الاول في وهدة المعصية ، شملت خطيئته كافة الجنس البشري من بعده « فبإنسان واحد دخلت الخطيئة الى العالم وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت على جميع الناس اذ أخطأ الجميع » (١) . « وزاغوا وفسدوا واعوزهم مجد الله » (٢) « ولم يوجد بينهم بارٌ ولا واحد » (٣) .

واذا كانت تلك المعصية غير متناهية لتوجيهها

(١) رو ٥ : ١٢ .
(٢) رو ٣ : ١٢ و ٢٢ .
(٣) رو ٣ : ١٠ .

مباشرة الى الله اللامتناهي ، لذلك كان غير ممكن للملائكة والآباء والانبياء المتناهين ، ان يقدموا الكفارة عنها ، ويفوا العدل الالهي حقّه ، حتى ولا الناموس الموسوي ، الا الله وحده غير المتناهي ، اذ لا يوجد شيء في هذا الكون الا وهو متناهٍ ، كقول الرسول بولس : « لأن ما لم يستطعه الناموس وضعف عنه بسبب الجسد ، فقد أنجزه الله إذ أرسل ابنه في شبه جسد خطيئة وقضى على الخطيئة بالجسد من اجل الخطيئة » (١) فصار « كفارة عن خطايانا وليس عن خطايانا فقط بل خطايا العالم كله ايضاً » . (٢)

فعندما بلغ ملء الزمان تجسد ابن الله (٣) من الروح القدس ومن القديسة مريم العذراء التي اصطفاها تعالى لهذا التدبير الالهي : ذلك ان الروح القدس حلّ على العذراء وقدّسها من الدنس الابوي فصارت اهلاً لحلول ابن الله في احشائها ، ثم جبل من دمائها الطاهرة ناسوتاً كاملاً بجسم ونفس عاقلة ناطقة لابن الله الذي شاء ان

(١) رو ٨ : ٣ .
(٢) يو ٢ : ٢ .
(٣) غل ٤ : ٤ .

يتجسد . غير انه لا اللاهوت وجد في احشاء العذراء قبل وجود الناسوت فيها ولا الناسوت وجد قبل اللاهوت . بل كلاهما وجدا معاً في لحظة واحدة فاتحدا اتحاداً ذاتياً طبيعياً جوهرياً اقنومياً بدون اختلاط او امتزاج او استحالة ، بسر لا يُدرك . وولدته العذراء بعد تسعة اشهر وهي بتول ، فصار الكلمة جسداً (١) ودعي عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا (٢) يسوع المسيح الذي كان منذ البدء الذي سمعناه ، الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه ولمسته أيدينا (٣) الذي أخذ كلَّ ما لنا ما عدا الخطيئة . (٤)

ونما في القامة والحكمة ، ولما اكمل الثلاثين من عمره اعتمد في نهر الاردن من عبده يوحنا ، فنزل الروح القدس من السماء بشبه حمامة ، وحطّ على هامته ، وسمع صوت الآب من السماء قائلاً « هذا هو ابني الحبيب الذي

(١) يو ١ : ١ .
(٢) ١ : ٢٣ .
(٣) يو ١ : ١ .
(٤) في ٢ : ٦ ـ ٨ .

به سررت » . (١)

وخلال تجواله في الارض ، قالت الناس فيه ما قالت ، فشاء له المجد ان يلقن تلاميذه الاطهار الدرس الخالد في العقيدة السمحاء التي يجب ان يؤمنوا بها ، ويسلموها أتباعه من بعدهم ، فسمعناه في نواحي قيصرية فيلبس يوجّه اليهم سؤالاً قائلاً : « من يقول الناس اني أنا ابن الانسان ؟ فقالوا : قوم يوحنا المعمدان وآخرون ايليا وآخرون ارميا او واحد من الانبياء . قال لهم وانتم من تقولون اني أنا . فأجاب سمعان بطرس وقال : انت هو المسيح ابن الله الحي . فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا . ان لحماً ودماً لم يعلن لك لكن ابي الذي في السموات ، وانا اقول لك ايضاً انت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها » . (٢) فعلى صخرة الايمان بابن الله الحي وضعت أساسات الكنيسة ، ولا يُبنى اذن اساس المسيحية الاّ على المسيح الواحد ، ولا يوجد مسيحان يمكننا ان نبني هذا الاساس على احدهما دون الآخر ، ولكن المسيح هو

(١) مت ٣ : ١٧ .
(٢) مت ١٦ : ١٣ ـ ٢٠ .

واحد لا غير ، وهو هو ابن الله الحي وابن الانسان مريم . والمسيحية لا يمكن ان تُبنى الا على حقيقة المسيح بأكملها .

وسمعناه مرة اخرى يتحدث الى رسله عما هو عتيد ان يحتمله من الآلام الفادحة من رؤساء اليهود ، وكيف انه سيموت وفي اليوم الثالث يقوم . ولا نستغرب اذا عرفنا ان رسله اعترتهم الدهشة ، عند تأملهم ماهية هذا الخبر ، فلم يدركوا كنهه ، ولم يسبروا غوره ، فأخذوا يسألون انفسهم كيف يحتمل الآلام والموت وهو ابن الله الحي بل هو الله ؟ ورأينا بطرس يأخذه جانباً وينتهره قائلاً : حاشاك يا رب لا يكون لك هذا ، فيلتفت اليه يسوع موبخاً وقائلاً : « اذهب عني يا شيطان . انت معثرة لي ، لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس ». (١) نعم لم يكن بطرس ورفاقه يدركون معنى آلام ابن الله ، وموته بالجسد ، الموت الذي به سينالون والعالم أجمع الحياة والخلاص من أسر الخطيئة والموت والشيطان . اما يسوع الذي كان عارفاً « بانه لهذا أتى الى عالمنا » « فإذ وُجد

(١) مت ١٦ : ٢١ ــ ٢٤ .

بالهيئة كانسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب » (١) ومحا بموته الصك المكتوب على البشرية ووفى العدل الالهي حقه ، وصالح الارض مع السماء . اجل ، صلب الاله المتجسد على يد اليهود الذين « لو عرفوا لما صلبوا رب المجد » ونزل الى الهاوية متحداً بروحه الناسوتية ، وخلّص ارواح الراقدين على الرجاء به ، وفكهم من الاسر (٢) وأصعدهم الى الفردوس . (٣) وفي اليوم الثالث قام من بين الأموات بقوة لاهوته (٤) وظهر بعد قيامته لتلاميذه منفردين ومجتمعين عدة مرات ، وللنسوة . ومرة دخل العلية والأبواب مغلقة وبيّن لتلاميذه أثر جروحه ، وأكل قدامهم (٥) مظهراً لهم نفسه حياً ببراهين كثيرة (٦) وبقي متردداً اليهم اربعين يوماً يفسر لهم ما كتب عنه (٧) ثم أخذهم على جبل وباركهم

(١) في ٢ : ٨ .
(٢) اف ٤ : ٨ و ٩ ، زك ٩ : ١١ و ١٢ .
(٣) لو ٢٣ : ٤٣ .
(٤) مت ١٦ : ٢١ و ١٧ ، ٢٢ و ٢٠
(٥) لو ٢٤ : ٣٦ ــ ٤٣ .
(٦) اع ١ : ٣ .
(٧) اع ١ : ٣ .

وصعد بناسوته الى السماء عياناً امامهم (١) وجلس عن يمين العظمة (٢) وسيأتي ثانية بمجد عظيم جداً للدينونة (٣)

هذه خلاصة سرّي التجسد والفداء الذي قام بهما الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس بأقنومه الواحد وطبيعته الواحدة ومشيئته الواحدة .

الكنيسة والمبتدعون

وبعد ان تجلبب الرسل الاطهار قوة الروح القدس (٤) خرجوا الى جميع اقطار المسكونة ناشرين البشارة بالمسيح يسوع ، ومعمّدين المؤمنين به باسم الاب والابن والروح القدس إله واحد ، مسلّمين إيام تعاليمه السمحاء نقية طاهرة ، قوية جبارة ، بسيطة سهلة ، بحيث يفهمها أبسط الناس وأسذجهم ، وصعبة مستعصية بحيث لا يستطيع سبر غورها اكبر الفلاسفة واعظمهم . وكان من أهداف

(١) اع ١ : ٩ .
(٢) ١٦ : ١٩ و اع ٧ : ٥٦ .
(٣) مت ٢٤ : ٢٩ ــ ٣١ واع ١ : ١١ .
(٤) اع ٢ : ٣ و ٤ .

تعاليمهم هذه المكتوبة والمنقولة ، نشر العقيدة القوية بالثالوث الاقدس التي آن اوان نشرها بوضوح ، في عهد ناموس الكمال ، واعلان الاعتقاد بالمسيح يسوع ابن الله الحي الذي به خلق الكون بأسره ، وعليه تدور كافة ابحاث الكتاب المقدس بعهديه من ألفه الى يائه .

وهكذا غزت النصرانية افكار الشعوب وملكت على قلوب البشر ، وانتشرت في كل بقعة من بقاع المسكونة ، ونما زرع الحق النقي الذي زرعه يسوع في حقله العظيم زرعاً جيداً ، وظهر الى جانبه ايضاً زؤان الضلال الذي زرعه بينه ابليس عدو الخير . ذلك ان الجماهير الغفيرة التي دخلت النصرانية من اليهود والوثنيين بقيت في رواسي رؤوس بعضها اشياء من سخافات الوثنية البالية وفلسفتها المتشعبة واضاليلها الفاضحة ، وخرافات اليهودية الخاملة المكبلة بقيود الجنسية المحدودة والمتمسكة بالارضيات دون السماويات . اولئك نفر حاولوا جهد طاقتهم خلط حقائق الدين المسيحي القويم بسخافات دياناتهم القديمة ، فتنكبوا عن تعاليم المسيحية السمحاء التي سلّمها الرب لرسله ، وهفوا في مزالق الفساد قائلين باطلاً ومعلمين ضلالاً ، حائدين عن جادة الحق مذيعين تعاليم غريبة ، مقلقين بذلك

راحة الرسل والمبشرين . ولم يتركوا وسيلة الا تذرعوا بها لخداع البسطاء من المؤمنين ، فأضلوا عقول ضعاف الايمان منهم واصطادوهم في شرك الباطل ، بيد ان رؤساء الكنيسة كانوا دائماً بالمرصاد لأولئك القوم الضالين والمضلين والانبياء الكذبة الكافرين ، الذين نازلوهم في ساحة القتال ، وظفروا بهم واحداً فواحداً بقوة الراعي الصالح يسوع المسيح ، محذّرين الكنيسة منهم تحذيراً . هكذا ناصبت اليهودية والوثنية النصرانية العداء حسداً ، ولكنها خرجت من ساحة الوغى عالية اللواء ناصعة الجبين منتصرة محتفظة بجوهرة الايمان نقية صافية ، داحرة عدوتيها البغيضتين .

ويخبرنا التاريخ المسيحي انه في كل مرحلة من مراحله ، وعلى كل مسرح من مسارحه ، وفي كل دور من أدواره وعصر من عصوره ، وجد في الكنيسة المقدسة من حاول دسّ السمّ في تعاليمها الطاهرة ، فكان يتصدى له آباء قديسون وابطال صناديد يذودون عن حياض الكنيسة محافظين – حتى الدم – على نقاء ايمانها وسلامة عقيدتها ، داحرين غزوات موجات التعاليم الغريبة التي حاولت الامتزاج بمبادئها القومية .

ففي العهد الرسولي ظهر الانبياء الكذبة والاخوة المضلون ، فحرمهم الرسل القديسون وأبعدوهم عن حظيرة السيد المسيح . واقتفى اثرهم في العصور الاولى عشرات المبتدعين ، اخطرهم آريوس الذي ظهر في اوائل القرن الرابع واعتقد « بان الابن ليس إلهاً لكنه خلقه الله في اول خلائقه ، وهو اصغر من الآب ، وسلطانه منبثق منه ، وبالتالي ليس مساوياً للآب في الجوهر » . واخذ يبثّ هذه العقيدة الشنعاء في الامبراطورية الرومانية . حتى فنّدها المجمع النيقاوي المسكوني الاول سنة ٣٢٥ م ورتب الجزء الاول من دستور الايمان المسيحي المبني على اساس الكتاب المقدس ويبتدىء بعبارة « نؤمن بإله واحد . . » وينتهي بعبارة « ونؤمن بالروح القدس . . » وخلاصته (ان ربنا يسوع المسيح هو إله حق وابن الله الازلي حقاً ، ومساوٍ لأبيه في الجوهر) .

ثم التأم المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية سنة ٣٨١ وفنّد بدعة مقدونيوس الذي أنكر ألوهة الروح القدس وقال عنه : « انه مخلوق يشبه الملائكة ولكنه ذو رتبة اسمى منهم » . ورتب المجمع الجزء الثاني من قانون الايمان وهو « نؤمن بالروح القدس الرب المحيي الكل

الذي من الآب ينبثق والذي مع الآب والابن يُسجـد له ويمجد الخ . . . »

وحدة الإله المتجسد والمبتدعون ، تاريخياً

وجاء القرن الخامس يحمل بين البدع الوخيمة والآراء العقيمة ، التي عنها نتجت الشقاقات والتفرقات ، التي لا يزال أثرها ظاهراً في جسم الكنيسة الواحدة حتى يومنا هذا . ذلك ان آباء الكنيسة في القرون الاربعة الاولى ، بما فيهم آباء المجمعين المسكونيين النيقاوي والقسطنطيني ، الذين تسلّموا الايمان من الرسل الاطهار ، كانوا يعتقدون بالمسيح يسوع **بأنه ابن الله الحي والأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس ، وهو ابن طبيعي لله الآب وللعذراء مريم ، وقد اتحد في تجسده اللاهوت والناسوت معاً بدون تبلبل أو امتزاج او اختلاط ، لذلك فله طبيعة واحدة مركبة من طبيعتين (١) ومشيئة واحدة (٢)** . وأقوال الآباء بهذا

(١) الخريدة النفيسة ج ١ ص ٤٦٢ - ٤٨٢ عن رسالة يوليوس الروماني الى ديونيسيوس اسقف قبرص . ونهج وسيم للمطران جرجس شاهين الكاثوليكي ص ٢٠ وتاريخ الانشقاق لجراسيموس مسرة ←

الصدد لا تُحصى وسنذكر بعضها في مكان آخر .

هذه كانت عقيدة الكنيسة الجامعة ، حتى ظهر نسطور بطريرك القسطنطينية في القرن الخامس ، الذي سقط في بدعة شنيعة شغلت الكنيسة اجيالاً عدة ، إذ اعتقد « بأن العذراء مريم لم تلد إلهاً متجسداً لكنها ولدت انساناً بحتاً حلّ عليه الاله عند عماده في الثلاثين من عمره . وقال : « من أجل ذلك لا ينبغي تسمية العذراء بوالدة الاله ، وإنّ للسيد المسيح طبيعتين وأقنومين » . وقد عاب على المجوس سجودهم للطفل يسوع (١) . وقال ايضاً حيث : « ان الله لم يولد فلا يجوز القول انه صُلب ومات ايضاً . بل انه حين جاء الى الصلب انفصل لاهوته عن ناسوته ، وكان المعلّق على العود إنساناً بحتاً » . ولذلك تجرّأ فاستقطع عبارة : يا مَن صُلبت من أجلنا من التقاديس

← ج ١ ص ١٩١ و ١٩٢ . وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية جزء ١ ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

(٢) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية جزء ١ ص ٣٠٧ عن خطبة الذهبي الفم في قول السيد المسيح « لكن ليس كمشيئتي بل كمشيئتك مت ٢٦ : ٣٩) .

(١) مت ٢ : ١١ .

الثلاثة التي ترتلها الكنيسة في صلواتها (١) .

فثار ضده الشعب المؤمن واستنكروا بدعته النكراء ، وأظهروا له انحرافه عن الايمان القويم . كما كتب اليه بعض آباء الكنيسة كالقديس كيرلس بابا الاسكندرية ، مفحمين آراءه الوخيمة وناصحين اياه ليرعوي . ولكنه لم يرتدع بل أصرّ على عناده ، فعقد المجمع المسكوني الثالث في مدينة افسس سنة ٤٣١ م بأمر الامبراطور ثيودوسيوس الثالث ، وحضره نحو ٢٠٠ اسقف فحصوا بدعته وتعاليمه الوخيمة ، وإذ وجدوها غريبة عن روح المسيحية حرموه وإياها ، وأيّدوا العقيدة الصحيحة من الكتاب المقدس . وأثبتوا أنّ للسيد المسيح أقنوماً واحداً وطبيعة واحدة بعد الاتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج ، وان العذراء هي والدة الاله .

وبناء على هذا القرار المجمعي أمر الملك بنفي نسطور الى ديره ثم الى اووسا (اخميم) بصعيد مصر حيث قضى نحبه . ولكن بدعته بقيت بعد هلاكه منتشرة متفشّية في

(١) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ٣٦

جسم الكنيسة ، وخاصة في الشرق . وقام الآباء القويمو الرأي يذودون عن حياض الايمان الحق ، ويقيمون الحجة على صحته رافضين بدعة نسطور الشنعاء . وكان من جملة المناضلين : اوطاخي رئيس دير في ضواحي القسطنطينية ، فبينما كان هذا يسفه هذه البدعة ، تطرف في منهج التعبير في سر التجسد وسقط هو الآخر في بدعة اكثر شناعة منها إذ قال باستحالة الناسوت الى اللاهوت ، وخلط ومزج إحدى طبيعتي السيد المسيح بالأخرى ، وآل به الامر الى ان ينكر كون المسيح اتخذ ناسوتاً حقيقياً من العذراء .

فحاججه اوسابيوس اسقف دوريليوم من اعمال فريجية ، وكان صديقه الحميم ، ونصحه بالاقلاع عن رأيه . وبينما كان يحاول إقناعه بخطأ تعليمه « بالطبيعة الواحدة الممتزجة » هوى هو الآخر في ضلال نسطور إذ قال « بفصل طبيعتي السيد المسيح بعد الاتحاد » . وشكا اوطاخي الى بطريركه فلابيانوس القسطنطيني وإذ كان هذا من المتشيعين لنسطور : قبل شكوى اسابيوس وعقد على اوطاخي مجمعاً في القسطنطينية وبرئاسته سنة ٤٨٨ حضره ٣٠ اسقفاً ، وفيه حرم اوطاخي وعزله من رئاسة ديره ، وأيّد مذهب نسطور

الوخيم القائل « بان للمسيح طبيعتين ومشيئتين بعد الاتحاد » وبذلك سقى غرسة العقيدة الخاطئة التي نضجت واكتملت في مجمع خلقيدونية ، والتي يرفضها الآباء القديسون السالفون بكتاباتهم واقوالهم وتصريحاتهم ومجامعهم .

وما ان سمع اوطاخي بهذا الحكم ، حتى فزع الى الملك ثاودوسيوس يستغيث به من جور بطريرك القسطنطينية ، مدعياً انه لم يفعل شيئاً سوى الدفاع عن الايمان المستقيم . فأمر الملك فاجتمع المجمع ثانية في القسطنطينية في شهر نيسان من السنة التالية ، بحضور فلابيانوس وفلورنسيوس معتمد الملك ومقدونيوس القائد . وابتدأوا في استعراض اعمال المجمع السابق ليتأكدوا من صحتها ورغم ان اغلب هذه الهيئة هم بعينهم اعضاء المجمع المكاني المطعون فيه ، الا انهم بدأوا يتراجعون ويتنصلون من أقوالهم ملقين التبعة بعضهم على بعض ، واخيراً ارفضت الجلسة كما عقدت دون جدوى .

مجمع افسس الثاني

وانتهز اوطاخي فرصة تألب الرأي العام ضد

فلابيانوس لقوله : « بان للمسيح طبيعتين بعد الاتحاد » فرفع شكواه الى ثاودوسيوس الثاني ، كما كتب الى آباء كثيرين ، من جملتهم لاون اسقف روما ، باسطاً لهم آراء بطريرك القسطنطينية ، وما لقيه منه من الظلم ، طالباً التوسط لدى الامبراطور لاعادة النظر في قضيته ، واستئناف الحكم في مجمع مسكوني . فأجابه لاون برسالة مؤرخة في اول حزيران عام ٤٤٩ يقول فيها « الى الابن العزيز اوطاخي القس من لاون الاسقف » لقد بلغنا من رسالتك ان بعض أناس بأغراضهم القبيحة قد انشأوا ثانية ارتقة نسطور ، فنعرفك اننا سررنا باهتمامك وعنايتك بهذه القضية ، ومن رسالتك تحقق عندنا ما في نيتك ، ولذلك لم نشك في ان الرب الذي كوّن الامانة الجامعة سيسعفك في كل شيء . فاما نحن متى بلغنا بالكمال أمر اولئك الذين بنفاقهم يفعلون ذلك ، فيلزم اننا بتوفيق الله نعتني بقطع هذا الرأي القبيح الذي لمضي زمان يسير قد نفى ، فليصنك الله عزت قدرته ايها الابن العزيز (١) » .

اما الامبراطور ثيودوسيوس الثاني فاذ وجد ان

(١) كتاب تاريخ مجمع خلقيدونية بالعربية طبعة رومية سنة ١٦٩٤ باب (٤١ : ٣٤) .

الخلاف قد تفاقـــم جداً ، لبى طلب اوطاخي وكتب الى سائر البطاركة والاساقفة بعقد مجمع مسكوني سنة ٤٣١ في مدينة افسس لحسم هذا الخلاف . فلما شعـــر فلابيانوس بصدور هذا الامر السامي ، أرسـل الى لاون الروماني ثاودوريطس اسقف قورش وغيره من المتشيعين لنسطور ، يستنجد به فارسـل الى المجمـــع نواباً عنـه هم الاسقف يوليانـــس ، والقس راناد ، والشماس ايـلاروس (١) ، يحملون رسـالة الى فلابيانـوس لا الى المجمـــع كما يقضي القانون .

وبعث الامبراطور بثلاث رسائل الى البابا ديوسقوروس الاسكندري بهذا الصدد ، خوّله في الثالثـــة منها حق رئاسة المجمع . ومما قاله : « اعـــلم اننا أمرنا سابقاً ان ثاودوريطس اسقف قورش لا يحضر في المجمـــع الى ان يظهر ما ينبغي بخصوص خصومه لكونه تجاسر وتكلم في الامانة ، بخـــلاف ما كتب كيرلس الصالح ذكره . . . واننا نوهب قداستك سلطاناً ونجعلك متقدماً ، ليس فقط فيما يخص ثاودوريطس بل وبما يخص كل المجمع المقدس » (٢).

(١) فيه باب ١٤ : ٤٢ و ٤٣ .

(٢) تاريخ مجمع خلقيدونية (باب ١٨ : ٨٩) .

ثم عين الملك اثنين من معيته نائبين عنه في المجمـــع . وامرهما بان الذين كانوا قضـاة في امر اوطاخي يكونون حاضرين بالصمت دون ان يجالسوا القضاة .

وهكذا اجتمع الى افسس مائة وثلاثون اسقفاً من سائر انحاء المسكونة وعقدت جلسـات المجمع في كنيسة العذراء ابتداء من اليوم الثامن من شهر آب سنة ٤٤٩ .

ودعي اوطـاخي وسئل عن عقيدته ، فاعترف امام المجمع بالعقيدة الصحيحة السليمة ، وأيّد قـوله بان قدّم له ايضاً اعترافاً صحيحاً مكتوباً بتوقيعـه ، معلنـاً تمسكه بايمان مجمعي نيقية وافسس وجميـع الآباء الارثوذكسيـــين السالفين . وحرمه لجميع الهراطقة ولا سيما ماني ووالنطينس وابوليناريوس ونسطور حتى سيمون الساحر ، مشهداً على ذلك السيد يسوع المسيح (١) .

وتلا الآباء اعمال مجمع أفسس الاول المسكوني ، وقانون ايمان المجمع النيقاوي وتعاليم الآباء القديسين في سرّ

(١) تاريخ مجمع افسس الثاني بالسريانية . والتاريخ الكنسي لابن العبري في ترجمة دمنوس، وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٨٠، وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٣٣ — ١٣٥

التجسد المجيد . ولم تقرأ رسالة لاون الآنفة الذكر .

ولم يقرر هذا المجمع شيئاً جـــديداً ، بـل اثبت ما قرره المجمـع الافسسي السابق (١) . معلناً وجـــوب التمسك بعقيدة الكنيسة القديمة . وبعـــد البحث الكثير خلص الى القرار التالي : **« المرة الثانية نحدد القـــول بطبيعة واحدة بعد الاتحاد للكلمة المتجسد بدون اختـلاط او امتزاج او استحالة »** .

اما فلابيانوس ودمنوس الانطـــاكي وثاودوريطس القورشي وهيبا الرهـــاوي واوسابيوس اسقف دوريليوم فحطهم المجمع عن كراسيهم ورتبهم لتمسكهم بالقول بطبيعتين للسيد المسيح بعد الاتحاد ورفع الآباء قرارات المجمـع الى الامبراطور ثيودوسيوس الذي اثنى عليها واصدر امراً بنفي فلابيانوس (٢) . وعاد الآباء الى ابرشياتهم فرحين مسرورين بالرب ، مطمئني البال اذ قد حافظوا على الايمان القـويم ، ودحضوا البدع الوخيمة .

---

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٨٠

(٢) تاريخ مجمع خلقيدونية (باب ١٥ : ٤٥ وباب ١٦ : ٦٢) وتاريخ مجمع افسس بالسريانية وتاريخ الكنيسة السريانيـة الانطاكية ج ٢ ص ١١٩ — ١٤٧

اما اوطاخي فقد عاد بعدئذٍ الى غيّه ونادى بتعاليم تناقض المعتقد الارثوذكسي الصحيح ، وتبين ان ما اظهره في المجمع السابق كان خلاف ما يبطنه . اما المجمع المقدس فكان مضطراً لاثبات براءته بعدما قدم صورة ايمانه السليمة ، واعترافه الصريح امام الآباء ولو انه حـكم عليـه بعكس ما حكم لاعتبر حكمه ظلماً . ولكنه بالوقت نفسه حـــرم تعاليمه . وإذ عاد اوطاخي اليها أسقطه الاساقفة من رتبته وحرموه (١) .

اما نواب لاون اسقف روما فعادوا الى سيدهم بعد ارفضاض جلسات مجمع افسس الثاني ، وحملوا اليه صورة عن قرارات واحكام هذا المجمع واوقفـوه على كل ما دار فيه ، واذ علم ان رسالته لم تقرأ في المجمع ، عـدّ ذلك اهانة كبرى له ، وهو الذي يحلم في الرئاسة العـامة على الكنيسة وبالعصمة التامة . وكيف لا يغضب والمجمـــع لم يكتفِ بعدم الاخذ برأيه الموافق لرأي فلبيـانس بطـريرك القسطنطينية ، بل حرم فلبيانس وكل من يعتقد باعتقاده ، وعدّهم مبتدعين لمناداتهم بطبيعتين للسيد المسيح بعد الاتحاد .

---

(١) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٣٣ ـ ١٣٧ و ٣٠٩ ـ ٣١٣

حينئذٍ ألّب لاون حوله الاساقفة المقطوعين الذين إذ اكتشفوا نقطة الضعف فيه اشبعوا كبرياءه اذ لجأوا اليه فقبلهم في شركته ، وكتب الى الامبراطور ثيودوسيوس متوسلاً اليه ليسمح له بعقد مجمع في كرسيه يستأنف فيه الاحكام التي اصدرها مجمع افسس الثاني فاجابه الامبراطور يقول : « ان مجمع افسس قد فحص كل شيء بمقتضى رسوم العدل والايمان فأقصي فيه غير المستحقين من الكهنوت ، واعيد المستحقون الى درجاتهم » (١) .

فلما رأى لاون ان ثيودوسيوس لم يلبِّ رغبته ، التمس بدموع غزيرة من والنطيان قيصر الغرب ليكتب الى ثيودوسيوس بالموضوع ذاته ، ففعل ، فأجابه ثيودوسيوس برسالة اظهر فيها عدم ضرورة عقد مجمع آخر ومما قال : (اما من حيثية فلابيانوس فنقول لأنه من حكمه انكشف أمر جديد مهم ضد مذهب الايمان ، فهو قد نال ما استحقه وبعدما طرد ذاك اصبح في البيعة صلح وسلام وليس فيها الا الحق المسيحي) . كما قال المؤرخ ثاوفانيس (٢) .

وذكر بعض المؤرخين انه عندما بلغ ديوسقوروس

(١) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٤٨ ـ ١٥٠
(٢) تاريخ الانشقاق ج لجراسيموس مسرة ١ : ٢٢٥

الاسكندري ان لاون قبل الاساقفة المطرودين في شركته ، جمع مجمعاً في مدينة الاسكندرية من جميع اساقفة الكرازة المرقسية وحكم على لاون الروماني بالحرم واذاع هذا الحكم .

ودار الزمان دورته ، ومرت سنتان على مجمع افسس الثاني المقدس ، وانتقل الملك ثيودوسيوس المظفر الى جوار ربه ، ولم يعقب خلفاً سوى اخت اسمها بلخارية كانت قد نذرت العفة وترهبت في احد الاديار ، فافتاها بعض الاساقفة المرائين (١) للتزوج من مرقيان احد قواد الجيش وكان من انصار نسطور ، فنكثت نذرها وتزوجته ، وسلمت اليه مقاليد المملكة فأصبح امبراطور الشرق .

وانبسطت اسارير لاون اسقف روما بهذا التغيير المفاجيء في الحالة السياسية في الشرق ، وزمجر يريد الانتقام من عدوه ديوسقوروس . وبعث الى بلخارية وزوجها مرقيان وفداً مؤلفاً من الاساقفة المقطوعين ملتمساً عقد مجمع يستأنف احكام مجمع افسس . واذ كانت بلخارية ميالة الى فلبيانس ، وترغب من مدة في حدّ نفوذ البابا

(١) تاريخ مختصر الدول للعلامة ابن العبري الطبعة الثانية ص ٨٥

ديوسقوروس (١) واذ كان زوجها مرقيان تابعاً لنسطور ، ساعدا لاون على تكميل رغائبه وامرا بانعقاد مجمع لفحص وقائع مجمع افسس الثاني .

ودعا مرقيان البابا ديوسقوروس الى المجمع فحضر الى القسطنطينية ، وسأل عن سبب عقد مجمع ، فقيل له لتوضيح الايمان ، أجاب بجرأته المعهودة « **ان الايمان لفي غاية الكمال ولا يعوزه شيء من الايضاح ، وهو مقرر ومثبت من الآباء ، امثال اثناسيوس وكيرلس وغيرهما** » . واذ حاول مرقيان وبعض الاساقفة ان يستميلوه ليوافق على رسالة لاون التي تثبت الطبيعتين بعد الاتحاد ، قال « **ان اعتقاد البيعة ينبغي ألاّ يزاد عليه او ينقص منه ، فالمسيح واحد بالطبع والجوهر والفعل والمشيئة كما كرز الآباء . اسمعوا ماذا قال ابي القديس كيرلس ان اتحاد اللاهوت بالناسوت هو كاتحاد النار بالحديد ، فاذا ضرب الحديد بالمطرقة فان الحديد هو الذي يتأثر ولكن النار لا يلحقها شيء** » .

(١) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٥٠ وتاريخ الامة القبطية وكنيستها تأليف مدام بوتشر ج ٢ ، ص ٥١

واذ ثبت للمخارية ومرقيان وبعض الاساقفة المقطوعين ما وهب الله لديوسقوروس من قوة الحجة ووضوح البرهان لتفسير الايمان ، اتفقوا على ان يكون المجمع بعيداً عن العاصمة في مدينة خلقيدونية بالقرب من البسفور ، لئلا يحدث ما لا تحمد عقباه ، وعلى ان لا يناقشوا ديوسقوروس في امر الايمان بل يقتصروا على البحث في امر الاساقفة المقطوعين ورسالة لاون .

مجمع خلقيدونية

الجلسة الاولى

اقد وضعت كنيسة روما كتاباً سردت فيه ما حدث في مجمع افسس الثاني والمجمع الخلقيدوني ، وأسمته (تاريخ المجمع الخلقيدوني) ، وترجمته من اللاتينية الى العربية بواسطة الراهب فرنسيس اللاتيني ثم طبعته بمدينة روما ١٦٩٤ م ونشرته (١) ، واني بسرد حوادث هذا المجمع سأعتمد كل الاعتماد على هذا الكتاب دامغاً الخصم ببرهانه مثبتاً الحقائق من اقواله .

(١) انظر الخريدة النفيسة جزء ١ ص ٤٩٧

عقد هذا المجمع في اليوم الثامن من شهر تشرين الاول عام ٤٥١ م (١) ، في كنيسة اوفيميا في مدينة خلقيدونية (١) « قاضي كوي » اليوم تجاه مدينة القسطنطينية . واختلف المؤرخون في عدد اساقفته فبعضهم قال انهم كانوا ٣٣٠ وبعضهم ارتأى انهم بلغوا ٦٣٠ ، اشهرهم ديوسقوروس بابا الاسكندرية ، ومكسيموس بطريرك انطاكية، ويوبيناليوس اسقف اورشليم واناطوليوس بطريرك القسطنطينية ، كما أوفد لاون اسقف روما ثلاثة نواب عنه هم الاسقفان باسكاسينوس ولوشنسيوس والقس يونيتاسيوس .

وجلس في وسط المجمع القضاة الذين اختيروا لادارة جلساته ، وجلس الاساقفة كل بمكانه فوقف باسكاسينوس نائب لاون الروماني وقال « معنا اوامر الاقنوم الطوباوي اسقف رومية يأمر بها ان ديوسقوروس لا يكون

(١) لومون اليسوعي ج ١ ص ٢٥٨ ـ تاريخ سورية للدبس ج ٤ ص ١٠٤ تاريخ الانشقاق ج ١ ص ٢٦٦ ، وتاريخ الكنيسة السريانية ج ٢ ص ١٥٤

(٢) ابن العبري عن مجمع خلقيدونية في ترجمة مكسيموس ، وتاريخ ميخائيل الكبير ص ١٨٧

له جلوس في هذا المجمع ، ولكن احضروه هنا كي يرد الجواب عن فعله ، ونحن ملزمون بحفظ ذلك فأمروا ان يخرج والا نخرج نحن » .

فسأله القضاة عما فعله الاب ديوسقوروس مخالفاً للقوانين . فقال : « ينبغي له ان يحضر ويرد الجواب عما حكم به كونه اذ لم يكن معه سلطان بهذه القضية ، عقد باقتراحه مجمعاً بغير دستور الكرسي الرسولي » .

لو عقد مجمع افسس الثاني بدون علم من اسقف روما لما قلل اهميته لأنه كان مستوفياً شروط المجامع المسكونية التي انما كانت تعقد بأمر الملك لفض المشاكل الكنسية ، ولم يذكر التاريخ الكنسي ان احدها عقد باذن من اسقف روما ، الذي كان صوته فيها كصوت احد الاساقفة لا غير . وحضوره فيها وغيابه عنها كان سواسية . ونص المرسوم الملكي الصادر لانعقاد مجمع افسس الثاني مدون في كتب المدّعين انفسهم (١) .

(١) راجع تاريخ مجمع خلقيدونية بالعربية باب ١٨ : ٨٤ و ٨٥ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج٢ ص ١٠٨ـ١٠٩ و ١٥٩ـ١٦٠

ومما يدعو الى الاستغراب تجاهل نائب روما للواقع بادعائه هذا الكاذب فاذا لم يكن لأسقف روما علم بعقد مجمع افسس الثاني ، فمن الذي بعث بنواب روما الثلاثة الاسقف يوليانوس والقس راناد والشماس ايلاروس ؟ وبالنيابة عن من حضر هؤلاء في المجمع المذكور : ومن الذي كتب طومس لاون الذي طفقوا يطلبون قراءته ؟

هذا ما لاحظه القضاة فزجروا باسكاسينوس نائب لاون الروماني بقولهم « ان كنت بمقام قاضٍ لا يصح لك ان تدعي كالمشتكي » . فلاذ بالصمت اثر هذا التبكيت (١) .

حينئذٍ قدم اوسابيوس اسقف دوريليوم المحروم شكواه ومضمونها ان البابا ديوسقوروس هو رفيق اوطاخي ، وقد حكم عليه وعلى فلابيانوس اسقف القسطنطينية ظلماً . فأجاب ديوسقوروس « **سيبدو الحق واضحاً عند قراءة اعمال مجمع افسس الثاني ، اذ دوّنت فيه كل الامور بوضوح تام** » .

---

(١) تاريخ مجمع خلقيدونية باب ١٨ : ٨ ـ ٨٣

فأمر القضاة بقراءة رسائل الملكين تاودوسيوس وفالنتيانوس الى البابا ديوسقوروس يدعوانه بالحضور الى افسس ، ورسالة الملك تاودوسيوس اليه ايضاً بخصوص حضور رئيس الدير مار برصوم السرياني . وقال قسطنطين كاتب الديوان الملكي انه توجد رسائل اخرى لأساقفة آخرين تدعوهم الى الحضور فلم يتريث القضاة حتى تقرأ هذه الرسائل ولكنهم صرحوا بدخول ثاودوريطوس اسقف قورش الى المجمع « لكون لاون الروماني رده الى كرسيه والملك امر بحضوره المجمع » كذا . ولما دخل قال اساقفة مصر والبريا وفلسطين « ارحمونا يا قوم الآن باد الايمان ، اعلموا ان القوانين تطرد هذا خارجاً فاطردوه انتم عنا » . ولكن القضاة لم يعيروا لأقوالهم اهمية بل خضعوا لرأي الغوغاء ، الشمامسة النساطرة الذين كانوا في هذا المجمع اكثر من الاساقفة ، والذين كانوا يهيجون ويموجون لاجلاس ثاودوريطوس في المجمع . وهذا ما حدا بأساقفة مصر ومن معهم على ان يقولوا للقضاة « أفالشمامسة كانوا الاولين في تثبيت القضية فلماذا يصرخون الآن ؟ فالمجمع ليس هو اجتماع شمامسة بل اجتماع اساقفة ، فاطردوا الى خارج من ليس له كلام في المجمع ومن ثبت القضية يحضر

في وسط المجمع لأننا نحن ثبتناها من بعد تثبيتهم لها » .

واستأنف الكاتب قراءة بقية اعمال مجمع افسس الثاني وعندما انتهى من تلاوة رسائل الامبراطور الآمرة بانعقاد المجمع قال ديوسقوروس « لقد اتضح مما تلي على مسامعكم ان الملك ثيودوسيوس ، لم ينط امر المجمع بي وحدي ، بل وأنى معي في القضاء يوبيناليوس وثلاسيوس ، فلماذا اذن ينسبون اليَّ وحدي ما تمَّ في افسس ؟ والواقع اننا كنا متساوين في السلطان ، وان ما اصدره المجمع من قرارات قد وافق عليه جميع الاساقفة فاقرّوا باصواتهم ووقعوا بايديهم واخبرنا الملك بذلك وهو ثبت بامر عال كل ما حكم به المجمع المقدس » (١) . فأجاب بعض الاساقفة الشرقيين قائلين : « اننا لم نوافق على قرارات المجمع السالف الا مرغمين ولم نحكم على فلابيانوس من تلقاء انفسنا ، اغصبونا وارعبونا بالضرب فأمضينا قرطاساً ابيض ونحن محاطون بالجنود شاهري السلاح » .

(١) انظر المراسيم الملكية في تاريخ مجمع خلقيدونية باب ١٨ : ٨٩ وانظر تاريخ سوريا للدبس ج ٤ : ٤٠٥ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٤٥ – ١٤٧ و ١٦٨

فأجابهم اساقفة مصر قائلين : « ان المسيحي لايخاف من احد . جندي المسيح لا يرهب القوة التي لا تخيف سوى الجبان . ائتوا بالنار الى هنا ونحن نعلمكم كيف يكون الاستشهاد . لو كان الشهداء يخافون الناس لما فازوا بالشهادة » .

واستأنف الكاتب قراءة اعمال المجمع ولما وصل الى قول الاساقفة : « ان جدّد أحد يكون محروماً ، ان فحص أحد في ايمان القديسين السالفين يكون محروماً ، فلتحفظ أمانة الآباء الاطهار » قال أساقفة الشرق : « لم نقل هذا » واتهموا كتبة ديوسقوروس بأنهم وحدهم الذين كتبوا الأعمال ، فسأل القضاة عن كاتب النسخة التي بين أيديهم . فقال ديوسقوروس : « كل واحد من الأساقفة كان له كتبة كتبوا نسخته » . فأقرَّ بذلك يوبيناليوس وثلاسيوس وأسقف قورنتس وغيرهم . فقال ديوسقوروس : فلِمَ قالوا عن كتبتي انهم وحدهم كتبوا الاعمال .

ثمَّ أمر القضاة بتلاوة بقية الاعمال ، وعندما بلغ القارىء اعتراف اوطاخي الذي قدمه الى مجمع افسس الثاني ومصادقة الاساقفة على ارثوذكسيته ، ومن بينهم باسيليوس

اسقف سالوقيا ، انكر هذا مصادقته . فتألم ديوسقوروس لكذبه وقال : « لست ادري ما الذي يدعو باسيليوس الى انكار خطابه المحرر في دفتر الاعمال وهو يعلم انه انما صادق على تعليم صحيح قدم الينا . » ثم استطرد قائلاً « اذا كان اوطاخي قد جحد العقيدة الصحيحة التي دونها في رسالته ، ونادى بتعليم غريب فهو لا يستحق العقاب فقط بل هو جدير بان يحرق بالنار . اما انا فلا اتزعزع قيد انملة عن ايمان الكنيسة الجامعة الرسولية ، انني لا اهتم الا بخلاص نفسي وبالمحافظة على العقيدة الصحيحة والايمان المستقيم » .

واستأنف الكاتب القراءة ، فسرد ما نادى به باسيليوس السالوقي الآنف الذكر اذ قال : « انني احرم كل من يفصل المسيح الواحد ، بعد اتحاد لاهوته بناسوته ، الى طبيعتين او اقنومين او جوهرين ، ولا يسجد لطبيعة واحدة هي طبيعة الابن الوحيد المتجسد » وعاد الاسقف فأنكر ايضاً اعترافه بهذا القول . وعندئذ سأله القضاة عن سبب حرمه لفلابيانوس ان كان يعتقد باعتقاده ، فقال : « ان حكمي كان لاحقاً لحكم مائة وعشرين او مائة وثلاثين اسقفاً ، فالتزمت ان اطاوعهم في الامور التي فرضوها » .

فنظر اليه ديوسقوروس وقال : الآن كذّبت الكتاب القائل « من فمك تتبرر ومن فمك تدان » (مت ١١ : ٣٧) ، لقد استحييت من الناس فتجاوزت حدود الصلاح واهنت الايمان ، لعلك ما سمعت ما كتب : « لا تخجل من شيء يهلكك » .

فتأثر الاساقفة المدعون زوراً وبهتاناً على ديوسقوروس من تأنيبه اياهم ، وضعفوا امام قوة حججه وسديد براهينه ، فلم يجدوا بدا من التسليم ، فوقفوا في المجمع قائلين : (كلنا اخطأنا وكلنا نطلب الغفران) .

وهنا جابهم القضاة قائلين لهم « لماذا ذكرتم سابقاً انكم اضطررتم رغماً عنكم وقهرا ان تكتبوا اسماءكم في قرطاس ابيض في عزل فلابيانوس » ؟ فلم يتمكنوا الا من تكرار اعتذارهم الاول قائلين : « كلنا اخطأنا وكلنا نطلب الغفران » .

ومن الغريب انه بينما يعترض الخلقيدونيون على ديوسقوروس بعدم السماح لاوسابيوس اسقف دوريليوم بدخول مجمع افسس الثاني ، نراهم يسمحون لثاودوريطس النسطوري الاسقف المقطوع بالحضور في مجمع خلقيدونية ، الامر الذي

حدا بالبابا ديوسقوروس ان يصيح فيهم قائلاً : « انتم تثلبونني كأني تعديت القوانين . فهل انتم تحفظونهـــا في ادخال ثاودوريطس؟» اجابه القضاة : « ثاودوريطس دخل بصفة مشتك » قال ديوسقوروس : « ولأي سبب جلس في درجة الاسقفية » ؟ قالوا : « ان اوسابيوس وثاودوريطس جلسا في صف المشتكين ».

وقد اوضح ديوسقوروس عدالة الحكم على فلابيانوس اذ قال : « هو امر واضح ان فلابيانوس عزل ، لانه قال بطبيعتين بعد الاتحاد ، وعندي شهادات من اقوال الآباء القديسين ، من اثناسيوس وغريغوريوس وكيرلس ، انه لا ينبغي القول بطبيعتين بعـد الاتحـاد ، بل طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد » .

قال اساقفة الشرق : « هذا قول اوطاخي هـكذا يقول ديوسقوروس » قال ديوسقوروس « لسنا نقول بالاختلاط ولا بالامتزاج ولا بالاستحالة » (١) .

بهذا القول الصريح نفى ديوسقوروس عن ذاته التهمة التي الصقها به اعداوءه بانه رفيق اوطاخي بالايمان . واثبت ان اقراره بالطبيعة الواحدة انمـا هو نتيجة الاقرار

بالاتحـاد الطبيعي . اما تعليم اوطاخي بالطبيعة الواحدة فهو نتيجة اقراره بالامتزاج والاستحالة والاختلاط ، والفرق عظيم بين كلا الاقرارين (٢) ولولا ذلك لمـا رأينا اباء الكنيسة القديسين الذين رفضوا مجمع خلقيدونية كمار طيمثاوس الثاني الاسكندري وسويريوس الانطاكي وثاودوسيوس الاسكندري وفيلكسينوس المنبجي وبطرس الثـــاني الانطاكي ويعقوب

---

(١) كان هؤلاء قد افتروا قبلاً مدعين ان رجال ديوسقوروس ورهبان اوطاخي وعددهم ثلاثمائة ، والجنود اكرهوهم على عزل فلابيانوس وتوعدوهم بالضرب والنفي وارعبوهم بالسيوف والعصى فوقّعوا ورقة بيضاء، حتى حصحص الحق ولم يجدوا بداً من الاقرار بخطأهم. وقد لغط بمثل تلك الافتراءات معظم الكتبة البيزنطيين الاولين ومن نسج على منوالهم ، وما زال يلغط بها بعض المتأخرين منهم ، كالدكتور اسد رستم في كتابيه « الروم» ج ١ ص ١٢٦ « وكنيسة مدينة الله انطاكية » ج ١ ص ٣٣٤ وقد ضمن الاخير فضلا عن افتراءات كهذه آراء اخرى نسطورية وبروتستانتية ولاتينية ، كما عزا غيرها زوراً الى مصادر هي خالية منها وتلفيقات اخرى اشبه بخرافات عجائزية » وراجع عن هذا كله تاريخ مجمع خلقيدونية بالعربية طبعة رومية والخريدة النفيسة ج ١ ص ٥٢٨ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٥٨ ــ ١٧٥ .

٢) الخريدة النفيسة الجزء ١ ص ٥٣١ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٧٣ و ١٢٩ و ٣١٣ .

السروجي واسحق الانطاكي وغيرهم ، يحرمون اوطاخي كما يحرمون نسطور ، وهذه كتاباتهم تشهد لهم(١) . وعلى منوالهم نسجت الكنيسة الارثوذكسية الجامعة المقدسة الرسولية . ومن هذا ينفضح كذب بعض المؤرخين القدامى والجدد من البيزنطيين والغربيين الذين يلصقون هرطقة اوطاخي بكنيستنا المقدسة . قال المؤرخ المدقق موسيهم : « ان اوطاخي اعتقد بان طبيعة المسيح الالهية امتزجت بالانسانية حتى صار المسيح بطبيعة واحدة الهية . غير انه لا يتضح جلياً اكان ذلك اكيداً او غير اكيد . اما هذه العبارة مع اسم اوطاخي فقد تركها ورفضها مقاومو المجمع الخلقيدوني الذين اقتادهم زينون وبطرس القصار ولهذا يسمون ذوي الطبيعة الواحدة لا اوطاخيين لان كل الذين يطلق عليهم هذا الاسم اعتقدوا ان الطبيعة الالهية والطبيعة الانسانية اتحدتا وصارتا طبيعة واحدة فقط ولكن بدون تحويل او امتزاج »(٢) .

اما تبرئة اوطاخي في مجمع افسس الثاني ، فلا يستدل منها ممالأة المجمع له في العقيدة . نحن نعرف ان المجامع

١) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ٢٠٩ ـ ٢٣١ .
٢) موسيهم قرن ٥ قسم ٢ فصل ٥ : ٢٣ .

المسكونية السابقة لم تكن لتصدر احكامها على المبتدعين الا بعد ان تتأكد من انهم مصرون على التمسك باقوالهم المناقضة للايمان المستقيم . وحتى في هذه الحال كانوا يصدرون حكمهم متألمين ومتأسفين . اذ انهم كانوا يتمنون لو عاد المبتدعون الى التمسك بالعقيدة القويمة ، لكي يصدروا حكمهم ببراءتهم ومجمع افسس الثاني لم يخرج على هذه القاعدة المجمعية في تبرئته اوطاخي لقد ناقشه الاباء في عقيدته شفاها فاقر واعترف بالايمان السليم ، ثم قدم الى المجمع صورة ايمانه مكتوبة بخط يده ، فاذا بها ارثوذكسية صحيحة فلماذا على المجمع بعد هذا . او لم يكن مضطراً الى اصدار حكمه ببراءته ؟

كان على الخلقيدونيين ان يعترضوا على ديوسقوروس واباء مجمع افسس الثاني لو انهم رأوا في اعتراف اوطاخي الكتابي والمدون في اعمال المجمع ما يخالف ايمان الاباء القديسين والكنيسة الجامعة . اما ان اوطاخي قد عاد الى بدعته ثانية بعد تبرئته وبعد ارفضاض المجمع ، فهذا ما لا دخل لديوسقوروس ولآباء المجمع فيه . اذ كان من الممكن ان تعاد محاكمة اوطاخي في مجمع آخر على اساس عودته الى بدعته . هذا علاوة على ان لاون اسقف رومية كان

قـد شجع اوطاخي قبل ان يحله آباء مجمع افسس الثـاني ، ذلك انه انفذ اليه رسالة « يثني فيها على عنايته بامر الايمان ، ويدعوه فيها بالابن القس العزيز » كما اسلفنا(١) .

والنتيجة التي يمكننا استخلاصها من كل ما سبق هي ان ديوسقوروس بريء من كل ما نسب اليه في مجمع خلقيدونية من ادعاءات باطلة واقوال لا محل لها من الصحة .

عندئذ قرر القضاة حل الجلسة الاولى من المجمع ورفعها الى ما بعد خمسة ايام(٢) .

الجلسة الثانية

واذ ضاق نواب رومية ذرعـا بسديد اجـوبة ديوسقوروس وتأكدوا من انه لو استمر المجمـع معه بالاخذ والرد لخرج منه ظافراً منتصراً انتهزوا فرصة غياب القضاة ، واتفقوا مـع الاساقفة الشرقيين النساطرة وبعض الاساقفة الجبناء المتذبذبين ، وعقدوا جلسة سرية في اليوم الثالث من حل الجلسة الاولى ، اي قبل الموعد الذي حدده القضاة بيومين كاملين . ولم يعلموا بهذا القضاة ، ولا دعوا اساقفة مصر ومن معهـم . ووضعوا حراساً على باب البيت

١) انظر هنا ص ٢٣ .

٢) كتاب تاريخ مجمع خلقيدونية باب ٢٧ : ١٦٣ ـ ١٧١ .

الذي كان يتبطنه ديوسقوروس كي يمنعـوه من الخروج اذا حاول ذلك . ثم ارسلوا يستدعونه لحضور جلستهم غـير القانونية . وعندما قال لرسلهم : « ان الحراس يمنعونني من الخروج » اجابوه بانهم سيخبرونهم ليسمحوا له بذلك وكلما اراد الخروج كانوا يمنعونه بحرابهم . واستدعوه ثانية وثالثة فاخبرهم بامر الحراس واخيراً حين علم بعدم حضور القضاة بينهم قال : « لقد نظر المجمع والقضاة في امري فما الذي يريده المجمع الآن ؟ هل يقصد ابطـال ما حدث بحضور القضاة ؟ انني لا احضر هذا المجمع الا اذا حضره القضاة »(١) .

فاجتمع هذا النفر من الاساقفة الجبنـاء تحت ضغط وتهديد نواب اسقف روما ، ودون ان يحاججوا ديوسقوروس اصدروا حكمهم المغرض الزائف الذي جاء فيه « قد ظهرت وتحققت الامور التي صنعهـا ديوسقوروس . . . فقد قبل اوطاخي بخلاف ما تأمر به القوانين . . . واستخص لذاته الولاية قهـراً . . ولم يأذن ان تقرأ رسالة لاون صاحب كرسي كنيسة رومية . وقد دعاه المجمع ثلاث مرات بموجب

١) كتاب تاريخ مجمع خلقيدرنية باب ٢٨ : ١٧١ ـ ١٧٦ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٧٦ .

القوانين الكنائسية فخالف امره وابى السير اليه . . . فلاجل ذلك لاون الحبر الاقدس بواسطتنا . . قد نزع عنه درجة الاسقفية وعزله من خدمة الكهنوت ، فالان هذا المجمع المقدس يحكم في دعوى ديوسقوروس بما رسمته القوانين »(١) كذا . .

واعلنوا هذا الحكم حالاً ، فاحتج قضاة المجمع على هذا الاستبداد وطلبوا سحب اعلان الحكم ، فلم يفلحوا اذ قد جاء هذا الحكم مشبعاً لنهم بلخارية وزوجها مرقيان ورغبتها الجامحة بالانتقام من ديوسقوروس .

وها نحن اليوم نضع هذه الحوادث الشائنة ، بل المهازل الدامية ، امام الضمير المسيحي النقي ، نضعها مجردة من كل تعليق معتمدين بسردها كما ذكرنا ، على تاريخ مجمع خلقيدونية من وضع الخصوم انفسهم .

فما حكمكم على الحكم الجائر الذي صدر في جلسة سرية غير قانونية وفي موعد مخالف لما نص عليه المجمع في جلسته الاولى ؟ ومن هيئة لا تمثل مجمعاً مسكونياً ، بل

١) تاريخ مجمع خلقيدونية باب ٢٨ : ١٨٧ و ١٨٨ .

اغلب اعضائها محكوم عليه في مجامع مسكونية سابقة قانونية لتمسكهم بعقيدة نسطور ؟ وبعدم حضور القضاة ، ونواب الملك ، والاساقفة الارثوذكسيين ، وصدر الحكم الزائف غيابياً رغم وجود المدعى عليه قريباً من مقر الجلسة وصدر بناء على تهم تثبت براءته منها في الجلسة السابقة بحضور المجمع بكامل هيئته . اذ اعترف المدعون انذاك قائلين : « اخطأنا ونطلب الغفران » وحتى في هذه الجلسة لم يدعوا قط لا في تهمهم الباطلة ولا في حكمهم ، بان ديوسقوروس قد انحرف عن الايمان القويم ، اي المسألة الوحيدة التي تجيز الحكم على الاساقفة بالقطع ، وقد اثبتوا براءة ديوسقوروس ومجمعه منها ، واعترفوا بشرعية مجمع افسس الثاني ، دون ان يعرفوا ، فمجمع افسس كان قد نزل دمنوس اسقف انطاكية وفلابيانوس اسقف العاصمة بذنب واحد ، وهو الاقرار بالطبيعتين بعد الاتحاد الطبيعي الجوهري . وقد شاهدنا كان لا يزال حياً واناطوليوس مكسيموس بدل دمنوس الذي من بين اعضاء مجمع خلقيدونية بدل فلابيانوس المتوفى . واناطوليوس هذا كان مشرطنا من ديوسقوروس .

فاذا كان ما اجراه ديوسقوروس ومجمع افسس الثاني في غير محله ، لماذا لم يردوا دمنوس الى كرسي انطاكية

ويعزلوا مكسيموس واناطوليوس ؟ فان رسامتهما على حسب ما قرروه كانت بالطبع غير شرعية(١) .

فمن مجرى حوادث جلستهم الاولى وهذه الجلسة غير القانونية ، يظهر لنا غرضهم البغيض وانهم قد اثبتوا براءة ديوسقوروس ومجمع افسس الثاني من حيث يدرون . او لا يدرون فحكمهم عليه ساقط بالبداهة .

وذكر بعض المؤرخين ان ديوسقوروس رغب في قراءة صورة ايمان المجمع الخلقيدوني ، فارسلت اليه ، فتلاها امام رهط من اساقفته واذ وجدوها جميعاً مخالفة لأقوال الآباء القديسين وايمان المجامع المسكونية المقدسة ، كتبوا على هامشها من الجهات الاربع ، ما يظهر فسادها ، حارمين كل من يعتقد بها ، ويتجاسر على تغيير العقيدة الارثوذكسية الصحيحة او يتلاعب بقوانين المجامع المسكونية(٢) .

---

١) الخريدة النفيسة جزء ١ ص ٥٣٤ وتاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١١٦ ـ ١٦٧ .

٢) تاريخ الكنيسة القبطية للقس منسى يوحنا ص ٣١٠ .

ثم امر مرقيان بنفي مار ديوسقوروس الى غنفرة في بفلاغونيا من اسيا الصغرى ، وحاول الخلقيدونيون جهدهم ارغام اساقفة مصر الميامين على التوقيع على رسالة لاون وقرار مجمعهم ، فأبوا وعزموا على ان لا يتزعزعوا قيد شعرة عن الايمان الصحيح ولو قدّموا اعناقهم في سبيل ذلك .

وهكذا ارفض مجمع خلقيدونية بعد ان غيّر الايمان القويم وايّد ضلال نسطور القائل بالطبيعتين للسيد المسيح بعد الاتحاد ، قاسماً المخلص الواحد الى اثنين ، شاطراً الكنيسة الجامعة مشتتاً ابناءها بدلاً من ان يجمعهم ويوحدهم . فابتدأت منذ ذلك اليوم الشقاقات وعم التنافر بين الاحزاب ، وما زالت الكنيسة حتى اليوم تعاني الآلام من جراء ذلك الانقسام البغيض . كيف لا وقد اثير على اثره اضطهاد عظيم على من رفض مجمع خلقيدونية حتى ان فرطوريوس الذي اغتصب الكرسي الاسكندري ، قتل بواسطة الجنود البيزنطيين اربعة وعشرين الفاً ممن تمسكوا بايمان الآباء القديسين ، اغلبهم اساقفة وقسوس ورهبان(١) وطرد بقية

---

١) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ١٩٥ ـ ١٩٨ نقلاً عن المؤرخين الثقات .

الاساقفة الارثوذكسيين من كراسيهم واقام مكانهم دخلاء . وقد بذلت الدولة الرومانية كل ما في وسعها من جهد ، في العزل والنفي والتنكيل ، لتجري قانون المجمع الخلقيدوني(١) ، ولكنها باءت بالفشل الذريع . فان الايمان الارثوذكسي لم تخمد جذوته في قلوب هؤلاء الابطال الذين لم يرهبوا سطوة الرومان وقوتهم العسكرية حسبما شهد مؤرخو الخصوم انفسهم(٢) . واستهزأوا بالضيقات ولم يبالوا بالنفي والطرد ، وكان في مقدمتهم من السريان البطريرك الانطاكي بطرس الثاني الملقب بالقصار والقديس برصوم الناسك رئيس اديرة الشرق . وفيلكسينوس المنبجي وسويريوس الانطاكي وغيرهم . وعقدت الكنيسة بعدئذ عدة مجامع حرمت فيها قرار مجمع خلقيدونية وطومس (رسالة) لاون . اخصها مجمع القسطنطينية المسكوني الذي انعقد سنة ٤٧٦ بأمر الامبراطور باسيليسكوس وحضره مار بطرس الثاني البطريرك الانطاكي والقديس طيمثاوس الثاني البطريرك الاسكندري ونحو خمسمائة اسقف . ثم اصدر باسيليسكوس مرسوماً ضد المجمع الخلقيدوني ورسالة لاون ، مثبتاً عقيدة الطبيعة الواحدة للسيد

١) كلدو واثورج ٢ ص ١٣٣ .
٢) فيه ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

المسيح بعد الاتحاد(١) وقعه نحو سبعمائة اسقف(٢) .

وفي سنة ٤٨٢ انعقد مجمع آخر في القسطنطينية بامر الامبراطور زينون ، واصدر قراراً قبلته كل من انطاكية والاسكندرية واورشليم والقسطنطينية ووقع عليه نواب اسقف رومية ، واثبته الملك زينون (بالهنوطيقون) اي منشور الاتحاد الذي كتبه باشارة اقاق البطريرك القسطنطيني ووجّهه الى الاساقفة والمؤمنين في الاسكندرية وليبية والمدن الخمس . جاء فيه : « نعلمكم ان اي بحث كان او تحديد ايمان آخر كان خارجاً عن الامانة التي قررها الآباء الثلاثمائة وثمانية عشر ، فاننا نرفضه بل نجعله غريباً عنا ، لان هذه الامانة غير معابة ، وانها مستقيمة وقد ايدها الآباء القديسون المائة والخمسون بالقسطنطينية واتّبعها آباؤنا القديسون الذين اجتمعوا مع القديس كيرلس وعزلوا المنافق نسطور وقبلوا ايضاً الاثني عشر فصلاً التي للطوباني كيرلس . ونحن ايضاً نحرم نسطور واوطيخا الخيالي وكل من ظن بامانة اخرى خارجا عن الامانة التي سبقنا واخبرنا عنها . ونعترف بان

١) تاريخ الانشقاق جزء ٢ ص ٢٦٥ .
٢) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

الله الوحيد الجنس الهنا وربنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي صار انساناً بالحقيقة ، المساوي لله بحسب اللاهوت ومساو لنا ايضاً بحسب الناسوت الذي تنازل وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء القديسة ، هو ابن الله . واما الذين يفرقونه او يجعلونه اثنين او يظنون فيه خيالاً او امتزاجاً . فلا نقبلهم بالكلية لان المولود من العذراء لم يزد ابناً آخر ، لكن الثالوث ثبت ثالوثاً ايضاً من بعدما صار كلمة الله الواحد من الثالوث جسداً(١) . . .

نستنتج مما سبق ان الايمان بالطبيعتين الذي اقره مجمع خلقيدونية كان دخيلاً على تعاليم الكنيسة ، ادخل اليها قسرا . فقاومه الآباء الميامين وقبل به على مضض بعض الاساقفة الجبناء ، وعندما سنحت لهم الفرص انكروه . دليلنا على ذلك ان هنوطيقون زينون السابق لم تقبل به كنائس انطاكية والاسكندرية فحسب بل وكنيسة القسطنطينية

١) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ج ٢ ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ والخريدة النفيسة ج ١ ص ٥٥٠ ـ ٥٥١ و ٥٥٣ ـ ٥٥٤ .

ايضاً . وهو لا يعترف الا بايمان المجامع المسكونية الثلاثة الاولى وبفصول كيرلس الاثني عشر التي تؤيد الطبيعة الواحدة لله الكلمة المتجسد .

ويطول بنا الشرح لو تتبعنا الحوادث التاريخية التي عقبت هذه الحقبة وتطور الجدل من الطبيعة والطبيعتين الى المشيئة والمشيئتين ، وكيف ان هرقل مثلاً في القرن السابع ، اقترح ان يُترك البحث بعقيدة الطبيعة والطبيعتين ، وان يعمم الاعتقاد بمشيئة واحدة في الكلمة المتجسد ، فوافقه اغلب الاساقفة ومنهم انوريوس اسقف رومية الذي على اثر ذلك ارسل لسرجيوس بطريرك القسطنطينية يقول : « انه من حيث المشيئة ، يعترف بمشيئة واحدة في المسيح(١) » . والاعتراف بالمشيئة الواحدة ينقض التعليم بالطبيعتين .

وان ما ذكرناه في هذه العجالة كاف لاقناع الباحث اللبيب بان الاعتقاد بالطبيعة الواحدة لله الكلمة المتجسد انما كان اعتقاد الكنيسة الجامعة منذ صدرها .

١) الخريدة النفيسة ج ص ١٢٤ ـ وتاريخ الانشقاق جزء ١ ص ١٩٢ .

وحدة الاله المتجسد وآباء الكنيسة

لقد اعتقد اباء الكنيسة الاولون في جميع اجيالهم بوحدة الطبيعة لله الكلمة المتجسد كما ذكرنا ، وتركوا لنا في هذا الموضوع ابحاثاً واسعة وشروحاً واضحة واعترافات صادقة نذكر في ما يلي بعضاً منها :

١ ـ قال القديس غريغوريوس العجائبي (٢٧٠+) في كتابه عن الايمان « الله الحقيقي الذي بغير جسد ظهر في الجسد وهو تام في اللاهوت الحقيقي الكامل ، ليس له شخصان ولا طبيعتان ولا نقول اننا نعبد رابوعاً . الله ، وابن الله ، وانساناً ، والروح القدس »(١) .

٢ ـ عندما وضع آباء مجمع نيقية قانون الايمان النيقاوي المعروف عزوا الامور الازلية والزمنية ، والافعال الرفيعة والوضيعة معاً الى الواحد هو السيد المسيح ، فقالوا : « اله حق من اله حق .. نزل من السماء وتجسد . . . وصلب . . . وتألم ومات ودفن وقام . . . وصعد الى السماء ».

١) منارة الاقداس لابن العبري م ٢ ف ٢ ب ٤ ر ٤ والخريدة النفيسة ج ١ ص ٤٦٢ ـ ٤٨١ اللاهوت لميخائيل مينا جزء ١ ص ٣٤٢ .

٣ ـ قال القديس اثناسيوس الرسولي (٣٧٣ +) في رسالته الى الملك يوبيانوس « ينبغي ان نعتقد بطبيعة واحدة واقنوم واحد لله الكلمة المتجسد المتأنس بالكمال . ومن لم يقل ذلك فانه يخاصم الله ويحارب الاباء القديسين »(١) .

وقال في مقالته عن التجسد « ان غير الجسد والجسد ، اشتركا بالاجتماع الى طبيعة واحدة ، وهو الله والانسان معاً ، وهو لا يقبل تغييراً ولا استحالة . . . بل اقنوم واحد ووجه واحد وفعل واحد وطبيعة واحدة لله الكلمة الذي صار جسداً »(٢) .

٤ ـ كتب يوليوس اسقف رومية (في القرن الرابع) في رسالته الى ديونيسيوس اسقف قبرص يقول : « الذين لا يعترفون بالاله الذي نزل من السماء انه تجسد من عذراء وانه واحد مع جسده يذهبون في قول المنافقين الذين يقولون على ما بلغني انه ذو طبيعتين . بالضرورة يلزم الذين يعتقدون

١) منارة الاقداس المطلب الثاني الفصل الثاني الباب الرابع الركن الرابع . (المطاليب النظرية) للاسقف ايسيدورس ص ١٨٨

٢) فيهما .

بطبيعتين ان يسجدوا للواحدة ولا يسجدوا للاخرى » (١) .

وقال فيما قال في احدى رسائله في موضوع « المساوي في الجوهر » : « اننـــا لم نجد في الكتب الالهية فرقاً بين الكلمة وجسده لكنهما طبيعة واحدة واقنوم واحد وشخص واحد وفعل واحد جميعه الله وجميعه انسان » . وقال ايضاً : « اذا كان الفاعل واحداً فيكون الفعل واحداً ايضاً اعني حركة الفاعل » (٢) .

٥ ـ قال مار افرام (٣٧٣ +) شمس السريان ونبيهم ، في ميمره في جمعة الآلام : « قدّموا لذراع الخالق العظيم قصبة الهزء ، وسمروا الشبر الذي مسح السماء على العود . ان الله كون بسيحه البرايا وقد سمر اولاد آدم اليدين اللتين جبلتنا آدم . قام الله في المحكمة وقبل اللطم في دار الحكومة ، نحن سمعنا ان الله لا يمكنه الاصطبار على سماع كلمة صغيرة وقد تعلق على العود فاغتاظت الموجودات . ولقد شربنـا سلافه وارتكبنا المظمة » .

---

١) انظر تاريخ الانشقاق ص ١٩٣ والخريدة النفيسة ج ١ ص ٤٦٣ .

٢) المنارة م ٢ ف ٢ ب ٤ ر ٤ والمطاليب النظرية ص ١٨٨ .

٦ ـ قال باسيليوس في تفسيره الآية القائلة « ان الرب خلقني » : « (لسنا نقول عن الابن الوحيد انه اثنان . ولا نقول ان « اللاهوت » منفرد بذاته . ولا « الناسوت » بذاته بل نقول طبيعة واحدة واقنوماً واحداً . لان بطرس الرسول لم يذكر طبيعتين لكن اعترف وقال : « ان المسيح تألم من اجلنا بالجسد » وايضاً من جهـة ولادته بالجسد بشر الملاك الرعاة قائلاً : « انه قد ولد لكم اليوم مخلص المسيح الرب » (١) .

٧ ـ قال القديس غريغوريوس الثيؤلوغس « هو اقنوم واحد ، طبيعة واحدة سجدت له المجوس ، لان وحدانية الله الكلمة ليست بعدد طبائع ولا اقانيم فقد ولد من عذراء ، وحفظ ايضاً عذرتها وبتوليتها بلا تغيير . . . هو ابن واحد . ليس للمسيح طبيعتان بعد الاتحاد ، ولا هو مفترق ولا مختلط في ما اجتمع من الجهتـين ، لان طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت اجتمعتا الى وحدانية » .

٨ ـ وقال القديس الذهبي الفم في المقالة الثالثة من

---

١) اللاهوت لميخائيل مينا جزء ١ ص ٣٤٢ والخريدة النفيسة ج ١ ص ٤٦٢ ـ ٤٨١ .

تفسيره رسالة افسس : « ولكنني ابين الامر ان الله الكلمة اخذ الانسان كله من طبيعتنا وهو كامل في كل شيء ، وله اقنومه فيه اعني الكلمة فلاجل هـذا نقول عنه انه طبيعة لكلمة الله واحدة ، الله الكلمة صار جسداً » .

٩ ـ قال القديس كيرلس الاسكندري : « نعترف بان ابن الله هو اله بالروح وابن الانسان بالجسد ، وليس طبيعتين لذلك الابن الواحد احدهما يسجد له والآخر لا ، بل المتجسد طبيعة واحدة » .

وقال في رسالته الى ثيؤدوسيوس الملك « اننا لا نعري الناسوت من اللاهوت ، ولا نعري الكلمة من الناسوت بعد ذلك الاتحاد الغامص ، الذي لا يمكن تفسيره ، بل نعترف بان المسيح الواحد ، هو من شيئين اجتمعا الى واحد مؤلف من كليهما ، لا بهدم الطبيعتين ، ولا باختلاطهما بل باتحاد شريف في الغاية » .

وقال : « ان الطبيعتين اتحدتا وان الكلمة صار انساناً وتجسد ونقول ان هذا الاتحاد طبيعي لنفي الغير الحقيقي والاضافي الذي لنا مع الله بالايمان والقدامة ، لاننا صرنا

شركاء الطبيعة الالهية (٢ بط ١ : ٤)[1] .

وقال في رسالته الى سوقينوس « اذا تأملنا الآن في المسير الذي لا ضرر فيه قائلين ان الطبائع قبل الاتحاد طبيعتان واما بعد الاتحاد فلا نفرق الطبيعتين من بعضهما ولا نقول انهما ابنان ولا نفصل ذلك الذي لم ينقسم ، بل نقول ان الابن واحد كما قال الآباء وكيان الله الكلمة المتجسد واحد »[2] .

وقال في الفصل الخامس من فصوله الاثني عشر : « من يتجاسر ويقول ان المسيح انسان وقد سكن فيه الله ولم يقل انه اله بالحق وابن واحد بالطبيعة لان الكلمة صار جسداً (يو ١ : ٤) واشترك مثلنا في اللحم والدم (عب ٢ : ١٢) فليكن محروماً »[3] .

---

١) منارة الاقداس والمطاليب النظرية ص ١٨٩ .

٢) فيهما

٣) كلدو واثورج ٢ ص ١٢٩ .

مما يؤسف له انه مع وجود هذه البراهين الناصعة يتجنى حضرة الدكتور اسد رستم على هذا القديس ويقول انه قال بطبيعتين « الروم » ج ١ ص ١٢٤ وتاريخ كنيسة مدينة الله انطاكية ج ١ ص ٣١٢ .

وحدة الاله المتجسد لاهوتياً

تعتقد الكنائس الارثوذكسية الانطاكية السريانية ، والاسكندرية القبطية والارمنية والحبشية ، بطبيعة واحدة ، واقنوم واحد ومشيئة واحدة ، وفعل واحد لله الكلمة الازلي المتجسد بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير .

اما الكنائس اللاتينية واليونانية والبروتستانية ، فتعتقد بان للسيد المسيح من بعد الاتحاد الطبيعي الجوهري الحقيقي طبيعتين ، طبيعة لاهوتية تعمل ما يختص باللاهوت وطبيعة ناسوتية تعمل ما يختص بالناسوت .

فبينما تعترف كنيستنا باتحاد الطبيعتين لفظاً وفعلاً ، تنادي الكنائس الاخرى بانفصالهما فعلاً وان عمدت الى اتحادهما لفظاً ، وبذلك تفرق بين المسيح الاله والمسيح الانسان ، اذ تنسب للاهوت افعالاً وللناسوت غيرها . كقول لاون الروماني في طومسه : « حقاً يأتي المسيح الاثنان الاله والانسان الواحد يبهر بالمعجزات والآخر ملقى للاهانات » بينما تنادي كنيستنا بان كل ما يتعلق باللاهوت وكل ما

يتعلق بالناسوت ينسب على حد سواء الى الكلمة المتجسد دون تفريق . مستندة بذلك الى حجج ساطعة ، وبراهين قاطعة ، كتابية ، ومنطقية ، وتاريخية ، والى شهادة الخصوم انفسهم .

ولكي نزيد هذا الموضوع العويص وضوحاً ، لا بد لنا ان نعرف ما هي الطبيعة . وما هو الاقنوم . وما يقصد بالاتحاد الاقنومي الطبيعي .

عرّف الفلاسفة الطبيعة بقولهم الطبيعة : تطلق على ماهية الشيء (اي حقيقته وذاته) فقولنا طبيعة الله اي الله ذاته . اما الاقنوم فهو يطلق على قيام ذلك الشيء بذاته . او بعبارة اوضح الاقنوم جوهري روحي شخصي لطبيعة قابلة الاشتراك بكثيرين شأنه يقيمها بذاتها ويحجز عن الاشتراك[1] اي ان الاقنوم هو الذي يميز الاشخاص من بعضهم فيميز بطرس من بولس وبولس من يوحنا .

---

١) علم اللاهوت لميخائيل مينا جزء ١ ص ٣٢٤ .

والاقنوم ، اعم من الشخص . لان السريان يعرفونه بانه الجوهر المخصوص ، او الطبيعة المخصوصة بخاصة ، فيتناول الخالق والمخلوق معاً . اما الشخص فيتناول المخلوق فقط . فاذا تخصصت الذات كانت اقنوماً سواء كانت ذات الباري او غيرها ، واذا تعينت الصفة كانت شخصاً(١) .

وذكر العلامة مار غريغوريوس يوحنا ابن العبري (١٢٨٦ +) في موسوعته اللاهوتية (منارة الاقداس) قال : في عرفنا نحن الكنيسيين ، كل جوهر طبيعة ، وكل طبيعة جوهر لان الطبيعة عندنا لا تحمل على الاعراض لكن الاعراض قائمة في الطبيعة اما عند الخوارج فكل جوهر طبيعة ، وليس كل طبيعة جوهر . فالاعراض نفسها في ذاتية طبيعتها عندهم مختلفة عن بعضها . والطبيعة عندنا وعند الخوارج ، اما عامة او خاصة ، فالطبيعة الخاصة تسمى اقنوماً وعليه فلا يمكن للطبيعة ان توجد بدون اقنوم فعلاً ، انما في الكينونة فقط . اما الاقانيم الكثيرة فليس من المستحيل

١) المطاليب النظرية ص ١٠٤ .

ان توجد في طبيعة عامة تجمعهم(١) .

وقال الاسقف ايسيدورس : « الطبيعة » بالقياس الى المخلوقات المعقولة او المحسوسة تعم وتخص فاذا عمت تناولت كل افراد النوع كبطرس وبولس ويوحنا من نوع الانسان ، والفرس والسبع والحمار والقط من نوع الحيوان ، وميخائيل وجبرائيل من نوع الارواح ، واذا خصت تناولت الشخص او الفرد الواحد من النوع كبطرس فقط من نوع الانسان والفرس فقط من نوع الحيوان وميخائيل فقط من نوع المعقولات .

وقال احدهم ، (حيث يوجد الجوهر وجد معه الخصوص والعموم . فان كل الخصوص كان الجوهر ذا اقنوم واحد . وان كان العموم كان ذا اقانيم كثيرة) .

وقال ايضاً : « الذات او الطبيعة او الجوهر بخاصة هي الاقنوم او الشخص ، ولهذا لا يمكن ان يكون جوهر

١) الركن الرابع الفصل الاول .

او طبيعة او ذات بدون اقنوم بالفعل ما عدا في العقل » (١) .

ما معنى الاتحاد

الاتحاد عامة هو مصير شيئين او اكثر شيئاً واحداً . اما الاتحاد في علم اللاهوت فهو اجتماع يحصل بدون تغيير في طبيعة الجوهر التي تكون متحدة اي لا يقبل في ماهياته التغيير ولا الاستحالة ولا التفاسد كاتحاد النفس بالجسد اللذين لا يشوبهما ادنى اختلاط او امتزاج وكاتحاد النار بالحديد ، والكهرباء بالسلك .

فكل من النفس والجسد يحفظ ما يخصه بالاتحاد الذاتي مثال ذلك ، لو ان النفس استحالت الى حيث الجسد ، لعدم منها النطق والعقل وباقي الافعال المختصة بها ، وبقيت مثل الحيوان . وكانت تهلك عند الموت ، وتصير تراباً . ولو ان الجسد استحال الى حيث النفس ، لكان لا يحتاج الى اكل وشرب . فكل منهما حفظ ما يخصه بالاتحاد الذاتي .

١) المطاليب النظرية ص ١٠٥ .

والنفس اللطيفة باتحادها بالجسد الكثيف تؤثر فيه ولا تتأثر منه ، اذ اوصلت له ما لها من الحياة وشرفته عن طبع الحيوان بالعقل والنطق ، فقام الانسان من جوهرين ، جوهر حيواني ارضي وجوهر سماوي فصار كياناً واحداً وجوهراً واحداً لاتحادهما الذاتي ، فمهما وقع من الحوادث بجزء من هذا الكيان الواحد المركب من جزئين ينسب لكليته ، مع ان بعض الافعال لا تقع الا بالنفس وغيرها لا تقع الا بالجسم او بجزء من احد اجزائه المؤلفة له . ولكن لما كان مركباً وقائماً كياناً واحداً من الاجزاء المتحدة اتحاداً ذاتياً طبيعياً ، فمهما نال احد اجزائه امراً ينسب للاجزاء الاخرى ، كقولنا ، يوحنا اكل او وشرب او نام او سالم مهندس او محام او ميت او حي .

قال القديس كيرلس بطريرك الاسكندرية : « فأخذنا لنا مثالاً لاتحاد اللاهوت بالناسوت كاتحاد النار بالحديد ، وان كانا طبعين مختلفين ، فباتحادهما صارا طبعاً واحداً . لا ان طبع النار استحال فصار حديداً ، ولا ان طبع الحديد استحال فصار ناراً ، بل نار اتحدت بحديد هي النار وهي

الحديد ... وان الحديد اذا ضرب بألمرزبة هي النـــار المضروبة والحديد الذي يتألم . والنار لا تتألم(١) .

وقال ايضاً في رسالته الى لوكيطس اسقف قيسارية : « يجب ان نأخذ لنا مثالاً من طبعنا نحن البشر لاننا مخلوقون من نفس وجسد وهما طبيعتـان مختلفتان قبل الاتحـاد ، وباتحادهما صارا انساناً واحداً بطبع واحد لم تتغير النفس عن طبعهـا باتحادها بالجسد ، فصارت جسداً ، ولا الجسد صـار نفساً ، بل النفس والجسد طبع واحد ، وانسان واحد(٢) .

هكذا نفهم اتحـاد اللاهوت والناسوت في المسيح الواحد . وهذا ما قصده الكتاب العزيز بنصوصه الالهية ، والآباء الاطهـار باقوالهم الشريفة وهـذا ما يفهمه المنطق السليم ويؤمن به العقـل . ولا يمكن ان نطلق التثنية على جوهرين بعد اتحادهما . فبعد اتحاد اللاهوت بالناسوت بطلت

١) الباب الرابع من كتاب المجامع المخلوطة لابن المقفع .

٢) فيه . وكتاب ديوسقوروس للقمص ارمانيوس حبشي شتـا البرماوي ص ١٨٦ و ١٨٧ .

منها التثنية في الاسماء . كما ان اتحاد النفس والجسد في الانسان الواحد لا يقال لهما بعد الاتحاد حيوان وناطق بل حيوان ناطق . ولم نجد مثـــالاً اقرب الى العقل من هذا تقريبـاً لاتحاد لطافة الكلمة بكثافة ناسوته . فبعد الاتحاد لا يقال الانسان والاله ، ولا الاله والانسان ، بل الانسان الاله ، والاله الانسان . وبعبارة الكتاب المقدس « الاله الكلمة المتجسد » .

وحدة الاله المتجسد والكتاب المقدس

مر بنا سابقاً ان اتباع مجمع خلقيدونية بينما يعترفون باتحاد طبيعتي السيد المسيح ، اللاهوتية والناسوتية ، لفظا ، ينـادون بانفصالهما فعلاً . ويفسر اعتقادهم هـذا ما ورد في رسالة (طومس) لاون القائل : « حقاً يأتي المسيح الاثنان الاله والانسان ، فالاول يبهر بالمعجزات والآخر ملقـــى للاهانات » . وهذا الاعتقاد بعيد عن روح الكتاب المقدس بعد الثريا عن الثرى . فكتاب الله العزيز لم يفرق بين طبيعتي السيد المسيح واقنوميه . ونصوصه الالهية تظهر جلياً وحدة الطبيعة للاله المتجسد ، اذ تنسب له الافعال الرفيعة والوضيعة معاً ، واحياناً تعزو فعل الازلي للزمني والزمني الازلي غير

مميزة او مفرقة افعالاً من افعال . والسبب في ذلك هو ان كل ما فعله السيد المسيح انما يعزى الى الواحد وهو الاله الكلمة المتجسدة .

١ - قال يوحنا اللاهوتي على لسان السيد المسيح « انا هو الاول والآخر ، الحي وكنت ميتاً ، وها انا حي الى ابد الآبدين (١) رؤ ١ : ١٧ . فالمتحدث هنا هو اللاهوت الازلي الابدي ، ولكنه يقول ايضاً (كنت ميتاً) مع ان موت الكلمة المتجسد لم يقع بالفعل على اللاهوت بل وقع على الناسوت . ولكن لفظة (انا) في بدء الآية ونهايتها دليل قاطع على وجود الطبيعة الواحدة للكلمة المتجسد ، وهي التي سولت للمتحدث ان يعزو الحياة والموت لذاته . ولا عجب فالكتاب المقدس يعزو الموت الى النفس بسبب اتحادها بالجسد . مع ان النفس خالدة ، والموت يقع على الجسد . فقد ورد في التوراة « فتعينون لانفسكم مدناً تكون مدن ملجأ لكم ليهرب اليها القاتل الذي قتل نفساً سهواً » (٢) عد ٣٥ : ١١) وكقول صاحب الامثال (اما هم فيكمنون لدم انفسهم . يختفون لانفسهم (٣) أم ١ : ١٨ فلا نخرج عن

اسلوب الروح وقوة الكتب المقدسة بقولنا ان الاله تألم وصلب ومات ذلك لان اللاهوت والناسوت بعد الاتحاد الطبيعي الجوهري اصبحا واحداً .

٢ - قال السيد المسيح « قبل ان يكون ابراهيم انا كائن »(١) فالذي كان قبل ابراهيم هو اللاهوت لا الناسوت ، لان الازلية هي من صفات اللاهوت . ومع فالمتحدث هنا هو الناسوت الذي له بدء والحديث يدل على ازليته التي هي من صفات اللاهوت . فلم يقل لاهوتي كائن بل (انا كائن) وفي ذكر كلمة « انا » عن ذاته دليل قاطع على وحدة الطبيعة في الكلمة المتجسد . (فانا) بديهياً لا تقبل التثنية بتاتاً .

٣ - قال الرسول بولس « لو عرفوا لما صلبوا رب المجد (٢) » ان الذي كان منظوراً على الصليب هو ابن الانسان - الناسوت - ولكن الآية تقول ان المصلوب هو رب المجد نفسه ، وهذه التسمية لا يمكن اطلاقها على انسان بسيط ، فربّ المجد هو آله حق . وفي الآية منتهى الدقة بعد التعبير اذ ان رب المجد الواحد في طبيعته

---

١) يو ٨ : ٥٨
٢) ١كو ٢ : ٨

وهو عينه صلبه اليهود . ولو صلبوا انساناً بحتا لما رافقتهم اللعنة في كل اجيالهم ، ولكنا بعد في الخطيئة ، ولما تمت الغاية من تجسد الاله الكلمة ، والتي هي خلاص البشر من عبودية الموت والشيطان والخطيئة ، اذ ليس من المقبول عقلاً ان يستطيع هـذا الناسوت مهما كان طاهراً ان يمحو صك المعصية الاولى لو لم يكن متحداً فعلاً باللاهوت ، الذي اعطاه القيمة الكبرى التي تتناسب مع اهمية عمل الفداء وايفاء العدل الالهي حقه . وباشتراك اللاهوت مع الناسوت في الآلام والصلب والموت لم يتأثر جوهره . فالانسان المركب من النفس والجسد ، قد يقع على نفسه احياناً بعض الآلام فيتأثر الجسد من ذلك ويمرض . واحياناً تقع الآلام والاوجاع على جسد الانسان كبتر احد اعضائه فتشترك معه الروح في الآلام ، وفي كلا الحالتين لا يمكن ان ينقص شيء من الروح في جوهرها بالرغم من ان الجسم ينتابه النقصان ، وعلى هذه الصورة يكون اللاهوت قد اشترك مع الناسوت في الآلام اشتراكاً ادبياً دون ان ينقص شيء من جوهره . وهذا ما فهمه الآباء القديسون وملافنة الكنيسة منذ العصور

الاولى . قال مار اسحق الانطاكي في ميمر له بالسريانية عن الايمان : « ان فخر الكنيسة هو ان الاله مات على الصليب » .

٤ - وقال الرسول بولس ايضاً « ان كنا ونحن اعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالاولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته(١) » اليس ابن الله آلهاً ؟ فكيف يمكن ان يموت ابن الله ؟ فالرسول لم يفرق بين اللاهوت والناسوت بآيته هذه اذ يقول « ان الله صالحنا بموت ابنه » اي موته بالجسد لاجلنا ، وبذلك اثبت وجود الطبيعة الواحدة والفعل الواحدة للكلمة المتجسد .

٥ - وقال يوحنا الانجيلي « هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد(٢) » وهذه الآية لا تفرق شيئاً عن الآية السابقة فانها تظهر محبة الله للعالم في بذل ابنه ، ولا يمكن ان يقال ان المبذول هو الناسوت فقط ، لان المقصود في هذا النص هو ، ابن الله الوحيد . ولا يمكن ان يقال ان المبذول هو لاهوت الابن فقط ، لان البذل وقع فعلاً على الناسوت . اذن تكون النتيجة ان المقصود بذلك هو الابن الكلمة المتجسد بطبيعته الواحدة واقنومه الواحد .

---

١) رو ٤ : ١٠
٢) لو ٣ : ١٦

٦ ـ قال الرسول بولس «احترزوا اذاً لانفسكم ولجميع الرعية التي اقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه» (أ ع ٢٠ : ٢٨). فهل المقصود هنا هو دم الله؟ فالله روح والروح ليس له (لحم ودم). اذن هل تم عمل الفداء بدم الناسوت فقط؟ فما هي اهميته للعالم؟ ولماذا ينسب النص الدم لله؟ النتيجة ان الفداء تم بواسطة الابن الكلمة المتجسد، ونسبة صفات احدى الطبيعتين للاخرى كما في الآية: دليل قاطع على وحدة الطبيعة قولاً وفعلاً.

٧ ـ قال يوحنا الانجيلي عن السيد المسيح «ليس احد صعد الى السماء. الا الذي نزل من السماء ابن الانسان الذي هو في السماء» (يو ٣ : ١٣) فلقب ابن الانسان اطلق على الابن الكلمة بعد تجسده. والرسول هنا ينسب اليه النزول والصعود الى السماء، وهما من عمل اللاهوت لان الذي نزل من السماء هو لاهوته لا ناسوته الذي اخذ من العذراء مريم. اذن صح نسبة النزول والصعود الى السماء الى ابن الانسان، لاتحاد اقنوم الكلمة الازلي مع الجسد الزمني وصيروتهما طبيعة واحدة. وفي ذكر كلمة (الذي) عن ذاته دعم لما ذكرناه.

٨ ـ قال بولس الرسول «يسوع المسيح هو هو امس واليوم والى الابد» (عب ١٣ : ٨) وهذه الآية تشبه سابقتها اذ ان لفظة (يسوع) هي الاسم الذي اتخذه الكلمة عند تجسده، والآية تنسب له صفة الوجود الدائم التي هي من صفات اللاهوت. وفي ذكر كلمة «هو» مكررة عن ذات يسوع، تأكيد الدليل على وجود الطبيعة الواحدة والاقنوم الواحد لله الكلمة المتجسد.

٩ ـ قال يوحنا الرسول «الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر» (يو ١ : ١٨) فالابن الوحيد الذي خبر هو الانسان المنظور الذي رآه الانجيلي وسمعه. والان يقول عنه هنا انه «هو» عينه موجود في حضن الآب. ولا يجوز ان يكون هذا الابن الوحيد واحداً بالعرض بل بالجوهر. فاذا بموجب النص والعقل هو واحد في الجوهر كما انه ابن واحد، له اقنوم واحد، وطبيعة واحدة. وفي ذكر كلمة (هو) مكررة عن ذات الابن تأكيد الدليل على وحدة الطبيعة.

١٠ ـ عندما اعتمد الكلمة المتجسد من عبده يوحنا في نهر الاردن سمع الصوت الالهي من السماء موجهاً اليه

قائلاً: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت» (مت ٣: ١٧) فهل قصد بانه بالناسوت فقط؟ لان الناسوت كان يعتمد. والناسوت بمفرده لا يصلح ان يكون ابناً طبيعياً لله الآب. كما لا يمكن ان يقال ان المقصود هو لاهوت الابن، لان النطق الالهي صدر عندما كان السيد المسيح قائماً في الماء، والحمامة نزلت على هامته... فالمقصود بذلك اذن هو الابن الكلمة المتجسد بطبيعته الواحدة المتحدة.

١١ ـ قال الرسول بولس «لان الله نفسه بنعمته ذاق الموت لاجل كل واحد لانه لاقى بذاك الذي من اجله الكل وبه الكل وهو آت بابناء كثيرين الى المجد، ان يكمل رئيس خلاصهم بالآلام» (عب ٢: ٩ و ١٠) (١).

---

١) يعترضون، قرئت هذه الآية في نسخ «لكي يذوق بدون الله الموت لاجل كل واحد» وقرئت في اخرى «لكي يذوق بنعمة الله الموت الخ» انظر حاشيته نسخة بيروت. الجواب: ان الترجمات والنسخ المشهورة قرأت الآية بالنص الذي اوردناه. كنسخ السريان واليونان والافرنج والارمن والقبط والكرج والسرب والصقالبة والحبش. وعجز النص، وغيرها من آيات الرسول يؤيد ذلك. فلا عبرة بسوى هذه النسخ. «المطاليب النظرية ص ١٨٧» والفصل الخامس من الباب الرابع من الركن الرابع من منارة الاقداس للعلامة ابن العبرى..

فالرسول بقوله «الله نفسه بنعمته ذاق الموت» لم يفرق بين اللاهوت والناسوت وبذلك يؤيد ان للسيد المسيح طبيعة واحدة واقنوماً واحداً. ويدعم هذا القول الآباء القديسون فمار افرام (٣٧٣ +) يقول في ميمره الآنف الذكر عن الآلام: (لقد قدموا قصبة السخرية الى ذراع الخالق العظيم، لقد سمروا على الصليب الشبر الذي قاس السماء. ان الله بمسيحه برأ الخلائق وابدعها. لقد سمر ابناء آدم اليدين اللتين جبلتا آدم، انتصب الله في المحكمة ولطمه العبد على وجهه. نحن لا يمكن ان تحتمل اسماعنا كلمة صغرى، والله معلق على الصليب، والخليقة مجلببة بالحداد). ويقول القديس كيرلس في حرمه الثاني عشر (من لا يعترف بان كلمة الله تألم بالجسد وذاق الموت بالجسد وصار بكر الاموات اذ هو حي ومحي هو الله، فليكن محروماً).

وقس على ذلك النصوص الآتية:

الذي نزل هو الذي صعد ايضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل (اف ٤: ١١). رب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الاشياء ونحن به (اكو ٨: ٦) ولكن لما جاء ملء الزمان ارسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً

تحت الناموس (غل ٤ : ٤) لذلك يقول اذ صعد الى العلا سبى سبياً واعطى الناس عطايا ، واما انه صعد فما هو الا انه نزل ايضاً اولا الى اقسام الارض السفلى ، الذي نزل هو الذي صعد ايضاً فوق جميع السموات ، لـكي يملأ الـكل (اف ٤ : ٨ - ١٠) وبالاجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد تبرر في الروح تراءى لملائكة كـرز به بين الامم اؤمن به في العـالم رفع في المجد (اتي ٣ : ١٦) فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع ايضاً الذي اذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة ان يكون معادلاً لله لكنه اخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه النـاس واذ وجد في الهيئة كانسان وضع نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب (في ٢ : ٦ - ٨) الله بعدما كلم الآباء بالانبياء قديماً بانواع وطرق كثيرة كلمنا في هذه الايام الاخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لـكل شيء الذي به ايضاً عمـل العالمين ، الذي وهو بهـاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الاشياء بكلمة قدرته ، بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا ، جلس في يمين العظمة في الاعالي (عب ١ : ٣١) . وكانوا (بنوا اسرائيل) يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة

كانت المسيح (اكو ١٠ : ٤) . لا تجرب المسيح كما جرب ايضاً اناس منهم فاهلكتهم الحياة (اكو ١٠ : ٩) من اين لي هـذا ان تأتي امّ ربي اليّ (لو ١ : ٤٤) . فانه فيه يحـل كل ملء اللاهوت جسدياً (كو ٢ : ٩) . منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لاجلنا لـكي يفدينا من كل اثم (تي ٢ : ١٣) انا والآب واحد (يو ١٠ : ٣٨) وان الآب في وانا فيه ، ومن رآني فقد الآب الخ .

ومن هذه النصوص الآلهية العديدة يتضح لنـا ان بين كلمـة الله الازلي والجسد المجبول بواسطة الروح القدس من القديسة مريم العذراء وحدة حقيقية طبيعية منزهة عن التثنية والانقسام .

هذا علاوة على ان في ولادة السيد المسيح الخارقة الطبيعة دليلاً قاطعاً على اتحـاد لاهوته بناسوته قولاً وفعلاً . اذ قـد استمرت بتوليـة العذراء بعد ولادته . وتمت بذلك نبوءة حزقيال القائل عنها : « هذا الباب يكون مغلقاً لا يفتح لان الرب دخل فيه » (حز ٤٤ : ٢) . فاذا اعتبرت الولادة

مختصة بالناسوت فقط – حسب رأيهم – كان لا بد من فتضاض بكارة العذراء مريم . اما وقد استمرت بتوليتها كما كانت قبل الولادة ، ففي ذلك برهان سديد على اتحاد اللاهوت بالناسوت قولاً وفعلاً . قال احد الآباء سائلاً الذين يعتقدون بطبيعتين للسيد المسيح : (هل ولدت العذراء مريم آلهاً ام انساناً ؟ فان قلتم الهاً ضللتم لان الله لا يولد . وان قلتم انساناً ، كانت ام انسان لا ام آله ، وذلك تنكرونه طبعاً . وان قلتم ولدت آلهاً وانساناً كانت ام آله وانسان ، فلها ابنـان احدهما آله والآخر انسان وهذا قول ينقضه العقل ويزيفه . فاذن لا يصح الا ان تقولوا ان الآله والانسان صارا واحداً ، ولذلك مريم ولدت واحداً . فالذي ولدته لا آلهاً بالاطلاق ولا انساناً بالاطلاق ، ولا آلهاً وانساناً ، بل آلهاً متأنساً وهذا هو الحق) (١) .

وحدة الاله المتجسد وخصوم الكنيسة

١ – جاء في تاريخ الانشقاق للسيد جراسيموس مسرة للروم الارثوذكس صحيفة ١٩٣ قوله (وكان معلمو الغرب على الغالب متفقين مع الاسكندريين في المنهج والتعبير

١) كتاب اللاهوت للقمص ميخائيل مينا حزء ١ طبعة ثانية ص ٣٣٦ .

كما يتضح من رسائل يوليوس بابا رومية الى ديونيسيوس اسقف قبرص في اواسط القرن الرابع حيث ينكر الاعتراف بطبيعتين استناداً الى قول الانجيل) والكلمة صار جسداً وقول الرسول بولس : رب واحد يسوع المسيح « ويعترف بطبيعة واحدة اللاهوت غير المتألم والناسوت المتألم . »

٢ – جاء في كتاب (الايمان الصحيح في السيد المسيح) الذي وضعه احد اساقفة اللاتين ، وترجم الى العربية في رومة وطبع فيها اولاً ثم طبع في بيروت سنة ١٨٦٤) قال ص ٩٢ و ٩٣ : ان الكنيسة الرومانية ، تعتقد وتعلم بوجود طبيعتين في المسيح ، ثم تطعن بالحرم من لا يعتقد بان المسيح هو طبيعة واحدة . كما تدون ذلك في المجمع اللاتراني المنعقد بأمر (القديس) مرتينو البابا سنة ستمائة وتسع واربعين في القرن الخامس بهذه الالفاظ ، (من لا يعتقد بموجب رأي الآباء القديسين انه توجد طبيعة واحدة للاله الكلمة في المسيح خاصة وحقاً ، دلالة على ان المسيح اخذ جوهرنا كله كاملاً ما عدا الخطيئة فليكن محروماً) .

٣ – وجاء في كتاب « مختصر المقالات اللاهوتية » لبيروني اليسوعي ترجمة الخوري يوسف الدبس الجزء الثالث

ص ١٧١ في ملاحظته على قـــول الآباء : « طبيعة واحدة للكلمة المتجسد » ما نصه : (فان اريد أنهم يعلمون ان الطبيعة المتجسدة صارت واحدة بعد الاتحاد فانا اسلم بذلك . وان اريد انهم يقولون ذلك في الطبيعة بالاطلاق فانا انكر) .

وقد جاء ايضاً ص ١٨٣ من الكتاب نفسه ما يؤيد القول بالفعل الواحد للسيد المسيح اذ قال : « فأسلم ان المسيح اظهر فعلاً واحداً او بالحري فعلاً جديداً تياندريكيا (مركباً) بسبب الاتحـاد العجيب بين الطبيعتين واجتماعهما على الفعل الواحـــد) .

٤ ـ وجاء في كتاب « نظام التعليم في علم اللاهوت القويم » للابروتستنت المجلد الثاني ص ١٩٩ ، ما يتفق وعقيدتنا السمحاء ، قال : (ان اعمال المسيح بعضها الهي محض كالعجائب وبعضها بشري محض ، كالاكل والشرب والنوم ، وبعضهـا الهي وبشري وهو ما يشترك في عمله الطبيعتان كعمل الفداء ، ولا يخفى ان جميع تلك الاعمال هي اعمال شخص واحد وان اعمال المسيح هي اعمال شخص الهي وان اختصت بطبيعة البشرية ولذلك يجوز ان تعتبر طاعة المسيح وآلامه ،

وان كانت ليست طاعة وآلام الطبيعة الالهية ، انهـا طاعة وآلام شخص الهي . . . . . فان نفس الانسان لا يمكن ان تجرح ولا ان تحرق ، ولكن متى اصـاب الجسد شيء من ذلك نسبناه الى الانسان كله ، وعلى هذا المبدأ نقول ان طاعة المسيح من الله ، وان دم المسيح دم الهي ، ومن ذلك نتج الاستحقاق غير المحدود وفاعلية عمله . . . وربمـا سمي شخص المسيح باحدى طبيعته ونسب اليه من الاعمال ما هو خاص بالطبيعة الاخرى ، فانه في الـكلام على تسليمه نفسه الموت سمي الله وابن الله ورب المجد ، وسمي ايضاً الانسان وابن الانسان ونسب اليه من الاعمال ما هو خاص بسلطانه الالهي فقط ، ومن ذلك القول ان ابن الانسان هو الذي يغفر الخطايا ، ورب السبت ، ويقيم الموتى ، ويرسل ملائكته ليجمع مختاريه) .

٥ ـ قـــال الارشمندريت فلايير جيـتي Guette الكاثوليكي في المجلد الخامس من كتابه (التاريخ الكنسي) ، عـن المجمع الخلقيدوني الذي قرر عقيدة الطبيعتين ، قال ما نصه : (ان في قرارات المجمع الخلقيدوني من العبارات ما يمكن الخروج منها على بدعة نسطور ، التي كان شبحها المفزع ما زال ماثلاً اما العيون) .

ويفصح هذا المؤلف ايضاً فيقول . (ان العدد العديد من الاساقفة الذين امتنعوا من الاعتراف بصحة المجمع الخلقيدوني ، كان لهم العذر كل العذر في امتناعهم لان قرارات ذلك المجمع الخاصة بالعقيدة ، تخللتها عبارات قد تؤدي الى التردي في البدعة النسطورية .) (جيتي مجلد ٥ ص ٤٦ (Guett T . 5. P . 46) .

وقال ايضاً : (ان لاون اسقف رومية كان مدفوعاً في نضاله الديني برذيلة الحسد التي كان يحجبها بالغيرة الكاذبة على الدين) مجلد ٥ ص ٢١) . (١)

فمن الشهادات السابقة التي هي للخصوم انفسهم ، ندرك ، ويدرك معنا كل من له ذرة من الضمير الحي ، بان كنيستنا المقدسة لم تحد قيد شعرة عن ايمانها القويم الذي تسلمته من الرسل الاطهار والآباء الميامين ، بل بقيت محافظة عليه ، وثابتة على عقيدتها السمحاء منادية « بطبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد » وقد بذلت في سبيل الحفاظ على هذه

١) انظر عصر المجامع للقمص كيرلس الانطوني ص ٢١٦ ـ ٢١٧

العقيدة القوية الغالي والنفيس . وقدّمت الوف الشهداء ، مسجلة لها في التاريخ صفحة ناصعة البياض في الجهاد المثمر ، ونالت اكاليل الغلبة بقوة ربها ومخلصها يسوع المسيح الذي وعد بان يكون معها الى الابد وابواب الجحيم لن تقوى عليها .

الخاتمة

هذا ما عنّ لي ان اخاطبكم به في هذا المؤتمر الودي اجابة الى رغبة ودعوة اعضائه الافاضل . طالباً من الله ان يسدد خطواتنا جميعاً الى ما فيه مجده تعالى وانتشار ملكوته السماوي . وان يجمع الخراف المشتتة الى حظيرة واحدة ، مثبّتاً كنيسته المقدسة على صخرة الايمان القويم . انه السميع المجيب آمين .



المصادر

باللغة السريانية

١ ـ الكتاب المقدس ـ العهد القديم والعهد الجديد

٢ ـ ميامر مار افرام السرياني ٣٧٣ + مخطوط

٣ ـ ميامر مار يعقوب السروجي ٥٢١ + مخطوط

٤ ـ ميامر مار اسحق الانطاكي ٤٦٠ + مخطوط

٥ ـ تاريخ مجمع افسس الثاني (٤٤٩)

AKTEN DER EPHESINISCHEN SYNODE VON JAHRE 449 (SYRISCH) BERLIN 1917

٦ ـ ميخائيل الكبير بطريرك انطاكية ١١٩٩ +
تاريخه الديني طبعة باريس ١٨٩٩ ـ ١٩١٠

٧ ـ غريغوريوس يوحنا ابن العبرى مقريان المشرق
١٢٨٦ +

أ ـ منارة الاقداس مخطوط

ب ـ تاريخ البطاركة مخطوط

باللغة العربية

١ ـ غريغوريوس يوحنا ابن العبري ـ تاريخ مختصر الدول
طبعة بيروت ١٩٥٨ .

٢ ـ تاريخ مجمع خلقيدونية طبعة رومية سنة ١٦٩٤ .

٣ ـ سويريوس ابن المقفع اسقف الاشمونين ـ تاريخ المجامع

٤ ـ الارشمندريت جراسيموس مسرة ـ تاريخ الانشقاق
طبعة ١٨٩٩ م .

٥ ـ موسيهم ـ تاريخ المسيحية القديمة والحديثة ـ ترجمة

٦ ـ ا . ل تبشر ـ تاريخ الامة القبطية وكنيستها ـ
مصر ١٩٠٠ م ـ ترجمة .

٧ ـ المطران يوسف الدبس ـ تاريخ سوريا ـ بيروت
١٨٩٣ ـ ١٩٠٣

٨ ـ الاسقف ايسيدوروس ـ الخريدة النفيسة في تاريخ
الكنيسة ـ عين شمس ١٩٢٣ م . ج ١

٩ ـ الاسقف ايسيدوروس ـ المطاليب النظرية في
المواضيع الالهية .

١٠ ـ المطران جرجس شاهين ـ نهج وسيم في تاريخ الامة السريانية القويم .

١١ ـ القمص كيرلس الانطوني ـ عصر الجامع ـ مصر ١٩٥٢ م

١٢ ـ القس منس يوحنا ـ تاريخ الكنيسة القبطية .

١٣ ـ ميخائيل مينا ـ اللاهوت ثلاثة اجزاء .

١٤ ـ المطران ادى شير ـ تاريخ كلدو واثور بجزءين بيروت ١٩١٢ ـ ١٩١٣ .

١٥ ـ الدكتور اسد رستم ـ تاريخ كنيسة مدينة الله العظمى انطاكية ٣ اجزاء .

١٦ ـ البطريرك يعقوب الثالث ـ تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية بجزءين بيروت ١٩٥٣ ـ ١٩٥٧ .



الفهرس

صدر من هذه السلسلة

١ ـ السريان وحرب الايقونات المطران غريغوريوس يوحنا ابراهيم

٢ ـ اهل الكهف في المصادر السريانية البطريرك زكا الاول عيواص

٣ ـ ادب الرسالة عند السريان المطران غريغوريوس بولس بهنام

٤ ـ الممالك الارامية المطران غريغوريوس صليبا شمعون

٥ ـ القيامة العامة في المصادر السريانية المطران سويريوس اسحق ساكا

٦ ـ عقيدة التجسد الالهي في الكنيسة السريانية الارثوذكسية البطريرك زكا الاول عيواص

تحت الطبع

كنيسة انطاكية السريانية عبر العصور

البطريرك اغناطيوس زكا الاول عيواص